حوليات آداب عين شمس المجلد ٥٠ (عدد إبريل – يونيو ٢٠٢٢)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

دوران النخبة الحزبية
"دراسة سوسيولوجية لدوران النخبة بحزب الوفد الجديد ٢٠٠٦"

نيرة علوان*

مدرس علم الاجتماع بكلية الآداب جامعة القاهرة
naieraelwan@hotmail.com

المستخلص:

تهتم هذه الورقة البحثية بإعادة القراءة المعاصرة لأفكار باريتو النظرية خاصة التى ركزت على دوران النخبة وذلك من خلال دراسة موقف صراع النخبة فى حزب الوفد الجديد عام ٢٠٠٦ ، والذى أدى الى تغير تركيب النخبة الحاكمة داخل الحزب ودورانها بشكل ثورى، وقد اعتمدت الدراسة على جمع بيانات وثائقية وعلى اجراء مقابلات مفتوحة متعددة.

وقد خلصت الدراسة، إلا أنه ربما لا تصلح التفسيرات النظرية الكلاسيكية لتقديم مبررات كاملة للسياسة المعاصرة، لكنها تصلح لإن نطور من خلالها نماذج تحليلية ملائمة لواقع مجتمعى وزمنى مغاير، مع التأكيد على ضرورة تجنب التفسير الأحادى، حيث أن تغير النخبة ودورانها الثوري بالحزب ظهر نتاج متغيرات عديدة منها صراع المصالح والسلطة، كما تأثر بالنخب السياسية والأعلام.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب – جامعة عين شمس ٢٠٢٢.

أولا: مقدمة فى مشكلة البحث وتساؤلاته:

إن دوران النخبة الديمقراطى الانسيابى هو أمر لابد منه لصحة الممارسات السياسية، ولكن هل يتم الدوران الديمقراطى الهادئ كما يفترض أن يحدث أو يحدث مع ما أشار له "ديفيد هيلد" من أن الديمقراطية ذاتها خرجت من أرحام صراعات عدة وغالبًا ما يضحَّى بها فى مثل هذه الصراعات. وفى هذا الإطار فإن الدوران النخبوى فى سياق دول العالم الثالث وسرعته وحركته قد يكون له ملامح وسمات مميزة، حيث إنه- وكما نرى- يبدو أن تغير النخبة وكأنه أمر حتمي، إلا أن سعى النخبة نحو المحافظة على هويتها، وعلى تكوينها، وعلى الاستمرار فى السلطة يبدو وكأنه أمر حتمى أيضًا. ولعل هذا التناقض بين حتمية التغير السياسى من ناحية، وحتمية الميل النخبوى نحو المحافظة على السلطة من ناحية أخرى، هو الذى جعل من قضية تحول النخبة أو دورانها قضية محورية فى التراث النظري، سواء كان هذا التغير يتم خلال دوائر مغلقة للنخبة من أسباب انغلاقها السيطرة من خلال الخبرة السياسية، كآلية تؤدى للانغلاق، وكذلك خضوع الجماهير التام من خلال التأثيرات الخطابية للقادة كآلية أخرى لإغلاق دائرة النخبة. وهنا تظهر إشكالية أخرى؛ وهى الكيفية التى يمكن أن يحدث بها دوران النخبة فى هذا الظرف الانغلاقي، فيرى أصحاب اتجاه الدوائر المغلقة للنخبة- ومنهم باريتو- أن الانقلاب النخبوى يعد أحد الوسائل الهامة التى تتغير بها النخب، حيث تحل نخبة محل نخبة آخذةً منها زمام القوة والسلطة، وقد يحدث الدوران تدريجيًا. (أحمد زايد: ٢٠٠٥، النخب السياسية والاجتماعية، ص ص٤٣: ٤٢) ومن هنا تبلورت إشكالية هذه الورقة البحثية؛ فقد حدث فى حزب الوفد الجديد- عام ٢٠٠٦- موقف صراع نخبوى أدى لإحداث دوران ثورى للنخبة الحزبية، استدعى هذا الدوران الثورى التفكير فى اختبار أفكار باريتو النظرية حول دوران النخبة فى ضوء واقع اجتماعى وزمنى مختلف، أى محاولة إعادة قراءة معاصرة لأفكار باريتو النظرية، فلا يتأتى لنا أن ننطلق من وجود سمات سيكولوجية أو رواسب لدى أفراد النخب الحاكمة- كما سنوضح لاحقًا- تصبح هى المحرك الأوحد لتغير النخبة الحاكمة ومنع انغلاقها، فقد يختلف أعضاء النخبة فى سماتهم الشخصية أو التكنيكات والآليات المستخدمة ما بين رغبة فى استخدام القوة أو العقل، غير أن من الجلى أن الدوران النخبوى – خاصة الثورى – بحاجة إلى عوامل ودوافع أكثر قدرة على تفسيره، وهذا ما يجعلنا ننطلق من فرضية جوهرية؛ ألا وهى أن الدوران النخبوي- خاصة الشكل الثورى منه- يتأسس فى جوهره من خلال متغيرات عديدة منها ما هو أساسي، مثل صراع المصالح أو الصراع على السلطة أو محاولات الانفكاك من الانغلاق النخبوي، بجانب المتغيرات الجانبية كسمات أفراد النخبة واستخدام القوة والرغبة فى الحفاظ على المكانة أو الرغبة فى التغيير.

وفى سبيل التحقق من هذه الفرضية، فإن هذه الورقة البحثية سعت لدراسة موقف صراع النخبة فى حزب الوفد الجديد عام ٢٠٠٦، والذى أدى إلى تغير تركيب النخبة الحاكمة ودورانها بشكل ثوري، ولتحقيق ذلك تسعى الورقة البحثية للإجابة على عدد من التساؤلات الجوهرية ألا وهى: كيف حدث دوران النخبة وتغيُّر النخبة الحاكمة؟ وهل كان صراع النخبة صراع ثعالب وأسود (حمائم وصقور) كما أشار باريتو، أم صراع مصالح وسلطة ومحاولات للفكاك من الانغلاق؟ وما هو موقف الجماهير الحزبية من هذا الدوران الثوري؟

ثانيًا: فى أهمية البحث وأهدافه :

تتمحور الأهمية النظرية لهذه الدراسة فى التأكيد على أنه يمكن استدعاء الأفكار النظرية الكلاسيكية لتفسير بعض جوانب الواقع المعاصر، بالإضافة إلى أن دراسات النخب الحزبية ودورانها تعانى من ندرة واضحة فى الوطن العربي، رغم ما تعانى منه الأحزاب العربية من مشكلات تتطلب منا دراستها؛ لذا فهذه محاولة لتسليط الضوء على مثل هذه الدراسات.

أما عن الجانب التطبيقى فإن دوران النخبة الهادئ فى الوطن العربى أمر غير ملموس، حيث تتمسك النخب بتلابيب السلطة، وربما هذا هو الأمر الذى كثيرًا ما يؤدى إلى دوران ثورى للنخبة، وهو الأمر الذى يحتاج إلى دراسة لمعرفة ملابساته وتحدّياته، وهذا ما تسعى إليه هذه الورقة البحثية.

ولتحقيق ذلك تبلورت أهداف هذه الدراسة فى عدد من الأهداف:

١) عمل نموذج تحليلى من خلال الاستفادة من أفكار نظرية باريتو.
٢) التعرف على الكيفية التى يتم بها تغير النخب الحزبية ودورانها والمتغيرات المؤثرة عليه.
٣) استكشاف دور الجماهير الحزبية الإيجابى أو السلبى فى عملية دوران النخبة.

ثالثاً: المنهج:

١- الاستراتيجية البحثية:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفى التحليلى فى دراسة موقف لدوران النخبة بوصف هذا الموقف من قرب وتحليل الموقف علميًا فى ضوء نظرية دوران النخبة لباريتو. استخدمت الدراسة المنهج التاريخى فى تتبع تاريخى لموقف دوران النخبة، وسرد بعض الأحداث التاريخية السابقة عليه، واعتمدت الدراسة لتحقيق ذلك على جمع بيانات وثائقية مختلفة، واعتمدت الدراسة على المعايشة الفعلية للعديد من الأحداث و كذلك إجراء مقابلات مفتوحة جماعية وغير مقننة مع بعض أعضاء النخبة، والاستعانة بإخباريين من جماهير الحزب، وكذلك متابعة الصحف الحزبية وغير الحزبية والمنشورات الحزبية فى فترة الدراسة.

٢- تحليل البيانات:

اعتمدت الدراسة التحليل الكيفىّ للمعلومات المستقاة من داخل الحدث، وكذلك تحليل التصريحات والمقالات المنشورة بكل الصحف المختلفة، وتم التحليل بتطبيق أفكار نظرية دوران النخبة لباريتو على الأحداث الفعلية ومحاولة استدعاء مفهوم الخيال السوسيولوجى لرايت ميلز؛ لربط ما هو خاص بما هو عام، حيث اقترب الباحث من الواقع إلى حد المعايشة الفعلية، وعلى هذا فإن الخيال السوسيولوجى Social Imagination كان حاضرًا، حيث انعكس الوعى الحى بالعلاقة بين التجربة الخاصة فى الحياة اليومية ومشكلاتها من ناحية، وبين المجتمع الأوسع والتغير الاجتماعى والتاريخى (C.W right Mills: 2000, pp 4:6) .

رابعًا: المفهوم الإجرائى لدوران النخبة:

إن المفهوم المحورى فى هذه الورقة البحثية هو مفهوم دوران النخبة. وفى البدء نوضح من هم النخبة لدى باريتو، باعتباره هو المنطلق النظرى الذى تحلل الدراسة الدوران النخبوى فى ضوء أفكاره وإن لم تكن تتبنى أفكاره للدفاع عنها.

والنخبة هى فعل مشتق من الفعل اللاتينى (Eligere) والتى تعنى "يختار"، وهى تشير دائمًا إلى الجزء المختار. واستُخدم مفهوم الصفوة فى القرن الـ ١٨ ليشير للحقول المختلفة، وهو يشير فى العلوم الاجتماعية إلى الرفعة والسمو وليس الاختيار والمعنى الدارج للنخبة هو الأفراد أو الجماعة التى لها مكانة مميزة ومرموقة فى المجتمع. (Suzanne Keller: 1991, P 25) والنخبة عند باريتو تتضمن أولئك الذين يحصلون على أعلى المؤشرات فى كل مجالات النشاط الاجتماعي. (Urmila Sharma and S. K Sharma: 2007, P. 367)

ولن نوغل هنا فى العرض النظرى لمفهوم الصفوة، ولكن يمكننا أن نحدد المفهوم الإجرائى للنخبة فى هذه الورقة البحثية، ونعنى به "أعضاء الهيئة العليا من الحزب، والذين ينتخبون من خلال الهيئة الوفدية، وتتضمن النخبة رئيس الحزب وأعضاء هيئة المكتب وسكرتارية الحزب وجميع أعضاء الهيئة العليا المنتخبة فى الفترة من ٢٠٠٦ إلى ٢٠٠٨".

أما دوران الصفوة فتعنى به الدراسة "العملية التى يتم بمقتضاها إعادة تشكل بنية النخبة داخل الحزب، إما من خلال اللوائح والقوانين بشكل انسيابى وتدريجي، أو من خلال التغير الثورى نتاج متغيرات عديدة مثل (الانفراد بالسلطة، صراع المصالح، الجماعة السياسية، سمات فردية ... إلخ)".

خامسًا: التراث البحثى (من النخبة لدوران النخبة):

أضحى التراث البحثى الخاص بدراسات النخب فى علم الاجتماع زاخرًا بشكل واضح، ولهذا سنشير لبعض من الدراسات التى اهتمت بدراسة النخب العربية عامة والنخب الحزبية بشكل خاص، حيث إنها محور اهتمام هذه الورقة البحثية، ولأن جل اهتمام هذه الورقة البحثية لا ينصب على دراسة النخبة الحزبية ذاتها، بل على دوران تلك النخبة والانقلاب النخبوى من خلال رؤية باريتو النظرية عن دوران الصفوة، فقد حاولت الدراسة الوصول لدراسات اهتمت بهذا التراث وهذا ما سنعرضه فى محور منفصل أيضًا.

نقسم عرض التراث البحثى إلى ثلاثة محاور:

المحور الأول: يتعلق بدراسات اهتمت بالنخبة العربية وسماتها كنخبة ذات سمات وطابع خاص.

المحور الثاني: دراسات اهتم بالنخبة الحزبية ثم، المحور الثالث: دراسات اهتمت بنظرية النخبة لدى باريتو.

المحور الأول: النخبة العربية السياق والدور:

وقد ركز هذا المحور على عرض نماذج من بعض الدراسات التى اهتمت فى الوطن العربى بالنخبة باعتباره سياقًا بنائيًا ودورها المجتمعى فى هذا السياق المختلف، فنجد إحدى الدراسات اهتمت بعلاقة النخب السياسية وتأثيرها فى أنماط الأداء الصحفى فى التسعينيات فى القاهرة، وخلصت إلى أن هناك تبعية لمضمون الصحف، وهناك دور رئيسي للنخب التنفيذية وللنخب الحزبية

كفاعل رئيسى لتوجيه مضامين الصحف (محمد هشام عبد المقصود، ١٩٩٨). وإن كانت الدراسة السابقة أشارت لدور النخبة السياسية فى توجيه مضامين الصحف المصرية فعلى ذات المنوال تظهر دراسة اهتمت بدور النخبة فى التوجيه أو تغير المسار المجتمعى كدور محورى للنخب، خاصة النخب الحاكمة، وهى دراسة للنخبة الحاكمة ومسار التحول الديمقراطى: دراسة حالة تونس (١٩٨٧- ٢٠١٠)، وقد خلصت الدراسة لحقيقة جوهرية ومهمة ترتبط بسمات النخب، ألا وهى أن هدف النخبة الحاكمة فى تونس ليس تحقيق وتدعيم تحول حقيقى نحو التعددية، بقدر ما هو تخفيف الضغط (التنفيس السياسي) واكتساب شرعية جديدة. ونجد أن المبادرات للتحول الديمقراطى الهادف منها تأمين الاستقرار وضمان السيطرة على السلطة. فتظهر الدراسة أن استقرار النظام السياسى التونسى ارتبط باستمرارية سيادة النخبة الحاكمة وليس فى دورانها، وأن التحول الحقيقى نحو التعددية مرهون بتوفر شروط تتعلق بالنخبة الحاكمة والقوى المشاركة فى هذه العملية، بحيث إنه ما من شك أن عقيدة النخبة الحاكمة فى تونس فى إبقاء الجماهير وحتى المعارضة فى مقاعد المتفرجين بعيدًا عن مسرح تقرير المصير وصنع الأحداث. (أسامة معقافي:٢٠١١)

وبالقطع هذه النتيجة جديرة بالانتباه وبأن نوليها الاهتمام فى هذه الورقة البحثية التى تهتم بدوران النخبة، فعندما نجد من خلال نتائج الدراسات السابقة أن النخبة العربية خاصة الحاكمة تجعل مسار التحول الديمقراطى مرهونًا باستقرارها وبقائها وعدم دورانها، فإن الدوران النخبوى الهادئ ربما، بل مؤكد، يصبح أمرًا عسيرًا كما سنحاول أن نستكشف فى هذه الورقة البحثية، خاصة مع وجود مؤشرات من نتائج بعض الدراسات الأخرى بأنه ليست فقط النخب الحاكمة التى لا تتفاعل للصالح العام، بل قد تعانى بعض النخب المجتمعية المختلفة داخل الوطن العربى من مشكلات تعوقها من الانخراط فى أداء أدوار للصالح العام، فنجد دراسة خلصت إلى أن هناك معوقات تحول دون توجيه النخبة الجامعية للتواصل والانخراط فى أعمال لصالح منظمات المجتمع المدنى المحلية، ومن أسباب ذلك غياب ثقافة الثقة بين النخبة الجامعية ومؤسسات المجتمع المدني، بالإضافة إلى استقلالية مؤسسات المجتمع المدنى عن السلطة، مما تسبب فى نفور النخبة الجامعية من التعامل مع مكونات المجتمع المدني. (عبد الله كبار: ٢٠١٣)

ولأن عدم استقلالية النخب السياسية والاجتماعية عن الدولة أو النخبة الحاكمة فى الوطن العربى هو أمر جلى، وهو ما أكدته دراسة أخرى عن النخبة السياسية الفلسطينية وصنع القرار: دراسة لأعضاء مجلس الوزراء لفترة ٢٠٠٦- ٢٠١٣. وركزت الدراسة على دور مجلس الوزراء فى عملية صنع القرار الفلسطينى على المستويين الداخلى والخارجي، وقد خلصت الدراسة إلى أن النخبة السياسية الفلسطينية تعانى من التفكك وعدم الوحدة جراء الانقسام السياسى بين حركتى حماس وفتح، والانقسام بين الضفة الغربية وقطاع غزة بسبب الاحتلال الصهيوني. (ثائر جمال ضميزة: ٢٠١٦)

وإن كانت الورقة البحثية الحالية تهتم بالدوران النخبوى فى أفكار باريتو، فإن الانقسام النخبوى الذى أظهرته الدراسة بالقطع يمثل عائقًا أمام أى تفسيرات هادئة لدوران النخبة، ويوجهنا إلى ضرورة الاهتمام بالانقلاب والصراع النخبوي، الذى قد يكون من سمات النخب العربية، كما أظهرت الدراسة السابقة فى دراسة النخبة السياسية الفلسطينية التى تعد أكثر النخب العربية السياسية احتياجًا للوحدة والتكامل ومن ثم الدوران الهادئ للسلطة.

وفى سياق مختلف حول الدراسات التى اهتمت بالنخبة العربية ودورها المجتمعى نجد دراسة حديثة فى المجتمع المصرى عن استخدامات الصفوة السياسية المصرية لشبكات التواصل الاجتماعى، حيث إنه رغم أن الدراسة توصلت- من خلال دراسة ميدانية على عينة قوامها ٢٠٠ مفردة من أعضاء الصفوة المصرية الحاكمة والحزبية- توصلت إلى أمر إيجابى وذى طبيعة حداثية، وهو أن غالبية النخب المصرية سواء الحاكمة أو السياسية يستخدمون مواقع التواصل الاجتماعى خاصة فى فترات الدعاية الانتخابية الخاصة بهم. إلا أن النقطة السلبية التى ظهرت من خلال الدراسة هى اقتراح أكثر من نصف العينة من الصفوة المصرية ضرورة إيجاد قوانين يمكنها فرض ضوابط على بعض الممارسات عبر مواقع التواصل الاجتماعي. (أمل عبد العظيم: ٢٠١٧) وهو أمر بالقطع مرفوض فى المجتمعات الحديثة ويبدو غريبًا عندما يقترحه أعضاء النخبة سواءً حاكمة أو غير حاكمة؛ فتقليص الحريات بدعوى الحفاظ على المجتمع يفتح بابًا لكثير من التجاوزات، خاصة عندما تقترحه الصفوة.

وفى نهاية عرض نماذج من بعض التراث البحثى حول النخبة العربية أظهر أن الواقع البنائى العربى الذى تعمل به النخبة العربية يحمل فى طياته عدم الرغبة فى دوران النخبة وخاصة الحاكمة وحتى الدراسات التى تناولت مسار التحولات الديمقراطية ركزت على الاستقرار وبقاء النخبة فى السلطة. كما أظهرت بعض الدراسات تفكك وانقسام النخبة السياسية ،. ولأن طبيعة النخب الحزبية قد تختلف عن النخب عامة فقد اهتمت الورقة البحثية بعرض نماذج من الدراسات التى اهتمت بالنخبة الحزبية خاصة.

المحور الثاني: نخبة الأحزاب السياسية:

ونتعرض فى هذا المحور لبعض الدراسات التى اهتمت بدراسة نخب الأحزاب السياسية سواء فى المجتمع العربى أو الغربي، وذلك للاقتراب أكثر من التراث البحثى المتعلق بالنخبة موضع البحث الحالي. فنجد دراسة فى المجتمع المصرى اهتمت بدراسة الأصول الاجتماعية لنخبة الأحزاب السياسية وموقفها من القضايا الاجتماعية (دراسة مقارنة بين الحزب الوطنى وحزب التجمع)، والتى خلصت من خلال مقابلات مع بعض أعضاء النخبة من كل من الحزبين إلى أن النخبة الحزبية فى كل من الحزبين تنتمى إلى الطبقة الوسطى، ولكن تتسم النخبة فى الحزبين بوجود اختلاف أساسى فى التوجهات الأيديولوجية والرؤية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. (أمل حسن: ٢٠٠٣)

ولأن الهدف الجوهرى من وجود الأحزاب السياسية هو المشاركة فى صناعة القرار أو التأثير به من خلال الوصول إلى الحكم من خلال الانتخابات، فقد اهتم العديد من الدراسات بدور النخبة الحزبية فى الانتخابات، فنجد دراسة عن الانتخابات والأحزاب والنخبة فى إندونيسيا حاولت تحليل دور النخبة فى الانتخابات الإندونيسية عام ٢٠٠٦، وقد أظهر التحليل دور الأموال والثروات وسيطرة الصفوات المحلية فى التحكم بالانتخابات والمنافسات فى المجتمع الإندونيسى بشكل واضح، فى ظل ضعف الأحزاب السياسية وعدم قدرتها على التأثير والتغير، ومن ثم ضعف نخبها أمام الأموال والصفوات المحلية التقليدية. (Nankyung choi: 2007)

وبالقطع، إن الواقع المجتمعى قد يختلف فى العوامل والمؤثرات على العملية الانتخابية ودور النخبة الحزبية بها تبعًا لظروف وطبيعة المجتمع، بل وأحيانًا تبعًا لاختلاف الحقب الزمنية، ففى دراسة عن تصورات النخبة الحزبية عن السلوك الانتخابى فى المجتمع السويدى والتى اهتمت بتحليل الوثائق داخل اثنين من أكبر الأحزاب السياسية، وهما الحزب الاجتماعى الديمقراطى والحزب المحافظ فى الفترة من ١٩٦٤ إلى ١٩٩١، خلصت الباحثة من تحليل البيانات الأمبريقية إلى أن السلوك الانتخابى المتبع لدى النخب الحزبية يختلف باختلاف الحقب الزمنية وباختلاف النخب الحزبية القائمة (Ann Ekengren and Henrik Son: 2011) ويؤكد تلك الفكرة دراسة أخرى أظهرت أن النخب الحزبية فى أمريكا حينما تختار مرشحى الانتخابات المختلفة فإنها تحاول أن تختار المرشح ذا القبول أيديولوجيًا وانتخابيًا، ولكن البحث أظهر أنه قد يكون هناك باعث أو محرك آخر للاختيار يرتبط بدوافع شخصية عند أعضاء النخبة. (Chirstopher L. Anderson: 2013)

وهنا يظهر أن العوامل الشخصية الفردية قد تكون باعثًا أو محركًا لبعض أعضاء النخبة نحو بعض القرارات المصيرية لمستقبل الحزب، وذلك فى المجتمع الأمريكى الأكثر تقدمًا. وكذلك أشارت دراسات أخرى عن النخبة الحزبية والبحث عن المصداقية فى المملكة المتحدة أن موقع النخبة الحزبية من الحُكم يؤثر على النخبة ذاتها، حيث طُبقت الدراسة من خلال مقابلات مع نخبتى حزبين من الأحزاب الجدد فى المملكة المتحدة SNP وPlaid cymru واللذين دخلا الحكم لأول مرة عام ٢٠٠٧، حيث أظهر البحث الميدانى أنه عند الانتقال للحكم فإن النخب تسعى لرسم صورة مختلفة عن أحزابها، وإظهار الأحزاب على أنها ذات درجة عالية من المصداقية، مع محاولة تغيير الصور الذهنية المرسومة عن نخبة الأحزاب، والظهور بمظهر يوحى بالكفاءة والثقة للحفاظ على المكانة الجديدة المكتسبة والاستمرار فيها. (Craig MC Angus: 2016) وبالقطع فإن هذه الدراسة تميط اللثام عن نقطة شديدة الأهمية ألا وهى أنه عند تغير موقع النخبة الحزبية من المعارضة كشريك فى الحكم يتغير الخطاب النخبوى لتدعيم المكانة المكتسبة الجديدة، وهو أمر جدير بالدراسة.

وفى دراسة أخرى عن طبيعة القضايا والتغيرات التى يمكن أن تحدث فى مستوى النخبة نجد دراسة عن المجتمع الأمريكى حول "ديناميات القضايا فى مستوى النخبة وتقييم أثر تصورات النخبة على تغير القضايا فى الحزب"، وقد اختبرت هذه الدراسة نظريات التغير ومناقشة قضايا كالصراع والامتداد الثقافى والجمود الأيديولوجى كأساس للخلاف الثقافى فى أمريكا فى الفترة من ١٩٧١ إلى ٢٠٠٨، وقد أظهرت الدراسة أن القضايا فى مستوى النخبة أصبحت أكثر حزبية بحيث أصبحت أكثر استيعابًا للانقسامات والاختلافات الأيدلوجية وغيرها داخل الحزب، وإن كانت لا تظل ثابتة، فقد يظهر التغير عند نشوء بعض أنماط قضايا محددة، مثل القضايا البارزة المتعلقة بالصراع الثقافى مثل الإجهاض أو منع السلاح، حيث يظهر هنا الاختلافات الثقافية وخصائص مميزة وبارزة تبعًا لتغير القضايا. (Daniel lee and Rachel Schutte: 2017)

وهذه الدراسة قد انطلقت لتختبر بعض نظريات التغير، وهذا الأمر الذى تسعى هذه الورقة البحثية للاهتمام به، كما أن هذه الدراسة قد أظهرت أمرًا مهمًا وهو أن النخبة الحزبية ذاتها قد تعانى من انقسامات وصراعات تختلف باختلاف طبيعة القضايا والمناقشات المثارة بالحزب، وهو أمر يؤثر بالقطع على طبيعة الممارسات الدينامية داخل النخب الحزبية، وهو أمر يجب أن نهتم به، وقد يكون سببًا لإحداث تغير فى تشكيل النخبة ودورانها، وهو الأمر الذى سوف نحاول أن تضعه هذه الورقة البحثية فى

اعتبارها. وإن كانت الدراسة السابقة أظهرت أن النخبة الحزبية تغير طبيعة المسائل والقضايا المثارة داخلها لأسباب مختلفة، فإن دراسات أخرى أظهرت أن التصورات الرقمية المتسارعة تلقى بظلالها أيضًا على طبيعة النخبة الحزبية وممارساتها، وهى دراسة عن العقبات فى سبيل التبنى الرقمى التفاعلى ومنظور الصفوة للممارسات الحزبية فى المملكة المتحدة، حيث استخدمت هذه الدراسة مقابلات لأعضاء النخبة الحزبية فى حزبين من الأحزاب فى المملكة المتحدة وهما "Labour Party" و "Green Party" وركزت على توجهات وممارسات النخبة الحزبية فى مجال الحملات الإلكترونية والحكم داخل الأحزاب، أو بمعنى أدق تبنِّى النخبة الحزبية للتوجهات والأجهزة الرقمية فى التفاعل، وقد أظهرت الدراسة القليل من الشواهد على اهتمام الصفوة باستخدام الأجهزة الرقمية فى التفاعل، وأن هناك بعض العقبات ظهرت أمام بعض النخب الحزبية فى تبنى التفاعل الرقمى كأحد وسائل الممارسة السياسية. (Katarine Dommetl: 2018) وهذه النتيجة قد تبدو غير متوقعة فى مجتمع متطور كالمجتمع البريطانى وخاصة نخبته الحزبية، وهو ما يطرح تساؤلاً لدراستنا: هل هناك دور لاستخدام التكنولوجيا الحديثة فى دوران النخبة الحزبية فى مجتمعنا؟ أو، هل تنعكس الممارسات الرقمية على الممارسة السياسية الفعلية وتؤثر فى تغيرات النخبة؟

وإن كانت الدراسة السابقة أشارت لتأثير الحداثة والتكنولوجيا على التفاعلات والممارسات النخبوية فى الأحزاب، فإن دراسات أخرى أِشارت لتأثير بنية المجتمع ذاته وانعكاسها على تغير بنية النخبة ذاتها؛ ففى دراسة عن الحزب الشيوعى الصينى (CPC) أظهرت أن عضوية الحزب الشيوعى الصينى وتركيب نخبته تحوَّل من الجماهير والعمال والفلاحين، وأضاف إلى تكوينه ونخبته شرائح من جماعات الإداريين وذوى الكفاءات والمهارات المختلفة، وذلك مع تغيرات المجتمع الصينى والتحولات الاقتصادية والاجتماعية فيه. (Kjeld Erik Bod Sgard: 2018)

وهذه النتيجة توضح أمرًا شديد الأهمية، وهو أن البناء الاجتماعى والسياسة المجتمعية، ينعكسان على بناء وتركيب النخب الحزبية والأحزاب السياسية الموجودة وإن تعارض ذلك مع الفكرة الأيديولوجية التى نهضت عليها الأحزاب.

وفى نهاية هذا المحور وبعد عرض نماذج من التراث البحثى المتحور حول النخبة الحزبية والاقتراب من النخبة موضوع هذه الورقة البحثية، أظهر البحث أن الاهتمام بالنخبة الحزبية مؤخرًا قد شهد تزايدًا واهتمامًا غربيًا لم يقابله أى اهتمام عربى، وربما يكون ذلك لما تتسم به الأحزاب فى العالم النامى من الضعف، مما جعل بعض العلماء مثل "سارتوري" يطلقون عليها "الكيانات السياسية المتميِّعة" أو أنها شبه أحزاب، مع عدم قدرة العديد من تلك الأحزاب على المشاركة أو التأثر فى صنع القرار. ورغم أن التراث البحثى الذى توصلنا له أغلبه عن النخبة الحزبية الغربية أو الآسيوية إلا أنه أظهر أن تلك النخب الحزبية قد يسيطر عليها أحيانًا من قبل الثروة، خاصة فى فترات الانتخابات. كما أن الدراسات أظهرت أيضًا أن تلك النخب قد تختلف فى تركيبها باختلاف الحقب الزمنية أو باختلاف بعض السياسات المجتمعية، كما أن الدوافع الشخصية قد تكون محركًا للنخبة الحزبية لتحديد قرارات مصيرية.

كما أظهرت نتائج الدراسات أن ممارسات النخب الحزبية تتغير مع تغير موقع النخبة فى دورة الحكم، حيث إنه فى حال الوجود فى الحكم تسعى النخبة الحزبية للظهور بمظهر أكثر مصداقية للحفاظ على مكانتها المكتسبة، كما أظهرت الدراسات أن النخب الحزبية ذاتها قد يكون بها انقسام وصراع ثقافي يؤثر على تغير ونوعية القضايا والممارسات المثارة بالنخبة.

وبعد هذا المحور يظهر أنه لم تهتم أىّ من الدراسات بعملية الدوران النخبوى أو حركة النخبة ذاتها، رغم تركيزها على سمات وملامح النخبة الحزبية، ولهذا ننتقل فى المحور التالى للدراسات التى اهتمت بدراسة أفكار باريتو عن دوران النخبة سواء بشكل نظرى أو إمبريقي.

المحور الثالث: دراسات اهتمت بنظرية دوران النخبة لدى باريتو:

وفى هذا المحور نستعرض الدراسات التى اهتمت بأفكار باريتو حول دوران النخبة سواء على المستوى النظرى، أو حاولت اختبارها واقعيًا، ولهذا فإن عرضنا فى هذا المحور يتم على المستويين النظرى والتطبيقى لنظرية دوران النخبة.

أولاً: دراسات نظرية حول دوران النخبة لدى باريتو:

وفى هذا المستوى اهتمت الدراسات بعرض وتحليل أفكار باريتو النظرية حول المجتمع وحول دوران النخبة، فنجد دراسة قديمة عن باريتو وحتمية الثورة، حيث ناقشت "Suzanne Vromen" أفكار باريتو عن دوران الصفوة فى ضوء حتمية الثورة فى حال لم يحدث دوران النخبة بشكل سليم وسلس لأى سبب من الأسباب، فإنه لابد وأن تحدث ثورات مؤثرة حيث إن المجتمع عند باريتو ليس شيئًا متجانسًا، وعندما تصبح النخبة شديدة التجانس فإنها تأتى لنهايتها، فترى سوزان من خلال أفكار باريتو أنه لابد وأن تظل النخبة مزيجًا من "Men of action" رجال الأفعال ورجال الأفكار "men of Imagination"، ولهذا عندما تصبح

النخبة شديدة التجانس فإنها تصبح مغلقة على ذاتها، ومن ثم يتخللها الضعف، كما قد تحدث الثورة عندما تفشل النخبة فى تحفيز الأفراد الناجحين والمتميزين فى المجتمع للدخول إليها. (Suzanne Vromen: 1977)

وبالقطع فإن هذه الدراسة رغم عدم قدمها تناولت فكرة الانقلاب النخبوى غير الهادئ أو الثورى عند انغلاق النخبة، وهو ما سنحاول أن نتبعه عند دراسة دوران النخبة الحزبية.

وعلى ذات المنوال والاهتمام النظرى بأفكار باريتو، هناك دراسة أخرى اهتمت بعدم المساواة الاقتصادية وباريتو وعلم الاجتماع باعتبارهم طريقًا لم يهتم به أحد، حيث اهتمت هذه الدراسة باستعراض أفكار باريتو النظرية حول عدم المساواة الاجتماعية وعدم المساواة الاقتصادية عبر المجتمعات، واستعرضت أفكاره حول دوران الصفوة، وما يؤدى لدوران النخبة أو الثورة أيضًا، ومنه بطء أو توقف دورة النخب، أو التغير السريع فى النخبة وصعود أفراد غير جديرين بالصعود للنخبة ولا يمتلكون المهارات المطلوبة. (Francois Nielsen: 2007) وهو ما أكدته الدراسة التى سبق عرضها أيضًا.

وحول المنظور النظرى فى دراسة أفكار باريتو فإن هناك دراسة أخرى عن الحقيقة الاجتماعية حول الديمقراطية، حينما يلتقى العلم بالسياسة مع موسكا وباريتو وميلز وشومبتر، حيث اهتم (Michael christen sen) بدراسة أفكار العلماء السابقين وارتباطها بالديمقراطية، والتى من أهم مقوماتها دوران النخبة الهادئ، لذا فقد أولى اهتمامًا جمًا لاستعراض أفكار باريتو والأسس التى تقوم عليها النخبة عند باريتو، والرواسب المتضمنة لدى النخبة.

كما ناقش دوران النخبة لدى باريتو وخلص إلى أنه فى ضوء أفكار باريتو فإنه عندما يتم التحكم فى المجتمع من خلال صفوة لديها العلم والإنجاز، فإنه يتم تحديها من خلال النظام التسلُّطى، وعندما تتحكم الصفوة التقليدية فى المجتمع فإنه يتم تحديها من خلال النظام الديمقراطى. (Michael Christen Sen: 2013)

وأخيرًا فأن الدراسات فى المستوى النظرى حول أفكار باريتو عن النخبة ودورانها كانت معينًا لهذه الورقة البحثية فى استحضار أفكار باريتو خاصة أفكاره حول الانقلاب النخبوى، وهو أمر لا يمكننا إغفاله، ولكن الاهتمام بأفكار باريتو حول دوران النخبة لم يقتصر على المستوى النظرى فقط فهناك بعض الدراسات التى حاولت اختبار أفكار باريتو النظرية حول دوران النخبة على الواقع المجتمعى، وهو ما سنناقشه فى المستوى الثانى من التحليل.

ثانيًا: دراسات تختبر نظرية باريتو امبريقيًا:

وفى هذا المحور نهتم بالدراسات التى حاولت اختبار أفكار باريتو حول دوران النخبة على المستوى التطبيقى، وبدأت هذه المحاولات مع تلميذة باريتو "مارى كولابنسكا" Marie Kolabinka حينما حاولت اختبار صحة نظرية باريتو على المجتمع الفرنسى، ولكن عملها افتقد إلى الدقة، ولكن ما خلصت إليه من دراستها هو أن باريتو ورغم قدم أفكاره النظرية حول النخب، إلا أنه لا يمكننا أن نغفل إسهامه فى تطوير التفكير فى حركة المجتمعات بالاهتمام بدوران النخب وتناوبها حول السلطة. (جميل حمداوي: ٢٠١٥، ص٣٦)

وقد حاول بعض الدارسين إضافة جانب تطبيقى واقعى على نظرية دوران النخبة لدى باريتو، ومنها دراسة عن دوران النخب والإصلاحات المدرسية فى السويد، واهتم بدراسة من انخرط فى دورات تدريبية لتحقيق إصلاح فى النظام التعليمى. واعتبر الباحث أن من انخرط فى تلك الدورات الإصلاحية هم المجددون أو الثعالب، ومن لم ينخرط فى تلك الدورات هم الأسود واعتبرهم كسالى؛ لأنهم لا يريدون التغير ويريدون أن يحافظوا على النظام القائم، وبهذا يرى الباحث أن النظام التعليمى فى السويد يتضمن نخبة من الثعالب المبتكرين، وأنه فى انتظار دوره للصفوة، حيث يشير الباحث إلى أن الأسود قائمون اليوم، ولكن باعتبار نظرية باريتو سليمة، فإنه كما يشير الباحث لن يظل الأسود نائمين غدًا. (Bengt Tjellander: 1985)

وإن كانت هذه الدراسة سعت لتطبيق نظرية دوران النخبة على المجتمع السويدى إلا أنها اهتمت بتركيب النخبة والدوران الهادئ ولم تعاصر حالات الانقلاب النخبوى أو الثورى التى أشار إليها باريتو، وربما لأنها درست نخبة ذات طبيعة هادئة نسبيًا، وهى نخبة المعلمين فى السويد.

وهناك دراسة أخرى حاولت تطبيق أفكار باريتو عن دوران النخبة مع عدد من الأفكار النظرية وعلى النخبة الحزبية فى المجتمع الأمريكى، وهى دراسة "روبرت ميشلز" و "فلفريدو باريتو" و "هنرى جونز فورد" الرؤية الكلاسيكية وبناء السياسات الأمريكية المعاصرة، حيث حاول (Byron, Shafer) أن يستدعى "القانون الحديدى للأوليجاريكية" لروبرت ميشلز و "دورة الصفوة" لباريتو، ومقولة "الكفاءة الحزبية" لهنرى فورد، باعتبارها رؤية كلاسيكية. وسعى من خلال هذه الأفكار أن يصف السياسة الأمريكية المعاصرة، وذلك لفهم مستقبل الديمقراطية الأمريكية، وذلك من خلال دراسة الأحزاب الأمريكية المعاصرة. وقد استعرض الباحث أفكار باريتو باستفاضة. وأكد الباحث أن هناك ضرورة أن يظل شبح باريتو اختيارًا موجودًا حيث إن دورة

الصفوة يجب أن تكون فى مركز السياسة الكبرى، أيًا كانت الاستعدادات التنظيمية رسمية أو غير رسمية. وقد أكد الباحث أن الأحزاب الأمريكية السياسية المعاصرة تبدو وكأنها تمنح مزايا لنخب محددة، وأنها فصلت ذاتها عن المناصب العامة فى هذا العالم الحديث بطريقة لم تستطع أفكار باريتو (وكذلك ميشلز) أن تتوقعها. كما يرى الباحث أن التحليل المعاصر لبزوغ النخب الحزبية وتحولها أو تغيرها، لم يفسرها بشكل واضح، حيث أظهر البحث أن الأحزاب الحالية أصبحت أحزابًا راكدة "remnant parties"، ولهذا فإن أى دارس ينطلق من أفكار بارتيو لابد وأن ينتقد بقسوة هذه الأحزاب الراكدة، ويرى الباحث أنه إذا كانت مجهودات باريتو قابلة للاستعمال والمناقشة فى الوقت الحالي، إلا أن الملاءمة تقتضى أن يكون هناك حاجة لبعض منهم وبعض منا، فإذا كان القانون الحديدى للأوليجاريكية ودورة الصفوة وفاعلية الحزب هذه الأفكار النظرية اتخذ طابع التعميم، ولم يرتبط بسمات مرحلة معينة، إلا أن التطبيق العملى الحالى كما يشير "Shafer" يتطلب عقلية محددة لاستخدام الكتابة التاريخية لمعالجة السياسة المعاصرة. فعلى سبيل المثال مفهوم مثل "دوران النخبة" يحتاج فى استخدامه عند أى تحليل أن نقوم بإعادة العمل لتفاصيل الحقبة الزمنية، حيث إن التفاصيل السياسية فى حقبتهم الزمنية كانت تتناسب مع ابتكار تعميماتهم النظرية، أما العصر الحالى فلا تتناسب فكرة التعميمات مع السياسة المعاصرة، ولهذا يؤكد الباحث أنه حينما نستخدم هذه النظريات لا نستخدمها لمعرفة احتمالية الصواب والخطأ، لكننا نستخدمها كمحاولة لتفسير السياسة المعاصرة، أى نستخدمها فى صراعنا مع القضايا الكبرى فى مجتمع اليوم. (Byron E. Shfer: 1991)

وأخيرًا فإن ما انتهت إليه هذه الدراسة هو نقطة انطلاق لدراستنا الحالية، فبالقطع إن النظرية الكلاسيكية لا تتناسب فى أن تكون محل اختبار الصواب الكامل أو الخطأ الكامل، ولكن قد تكون بعضًا من التفسيرات النظرية التى تصلح لفهم وتحليل بعض من التغيرات فى السياسة المعاصرة. وبعد الانتهاء وعرض نماذج من التراث البحثى ومناقشة أهم أفكارها يمكننا أن نحدد عددًا من النقاط التى يمكن أن تحدد مسار علاقة هذه الورقة البحثية، وهذا التراث البحثى الزاخر:

١- أظهر البحث فى التراث السابق أن واقع النخب العربية أو السياق الذى تعمل به النخبة الحزبية يعانى من وجود انعدام للثقة، وكثير من انعدام للدوران النخبوى، والعديد من الانقسامات.

٢- كما اتضح من عرض التراث البحثى المتعلق بالنخبة الحزبية أن الاهتمام بتلك النخبة هو اهتمام غربي، حيث إن دراسات النخب الحزبية العربية الحديثة شهدت ندرة واضحة ربما لتراجع دور الأحزاب السياسية فى مجتمعاتنا، وهو الأمر الذى يحتاج إلى مزيد من الدراسات، وإن كانت النماذج التى عرضتها الورقة البحثية من التراث البحثى حول النخبة الحزبية أوضحت أن هذه النخبة لها سمات خاصة، فلعبت الثروة والأموال دورًا واضحًا، خاصة فى فترات الانتخابات، كما أن تركيب تلك النخبة يمكن أن يتغير مع اختلاف وتغير بناء المجتمع ذاته، وقد أكدت النتائج أن طبيعة ممارسات النخبة الحزبية وبنيتها ومن ثم دورانها يمكن أن يختلف تبعًا لموقع تلك النخب من الحكم أو المعارضة.

٣- تهتم هذه الدراسة بتفسير وتحليل حدث اجتماعى سياسى لدوران النخبة الثورى أو انقلاب نخبوى فى ضوء أفكار باريتو عن دوران النخبة، أى استدعاء التفسيرات الكلاسيكية ووضعها فى إطار تاريخى سياسى معاصر، وهو ما لم تحاول الدراسات التى سبق عرضها الاهتمام به.

سادسًا: الدوران النخبوى لباريتو بين النظرية العلمية واليوتوبيا النظرية:

إن العمل الجوهرى لباريتو Vilfredo Pareto (١٩٢٣- ١٨٤٨) نشر فى عام ١٩٢٠، يوضح به شكل اضمحلال وازدهار الحكومات فى النظم الديمقراطية. ويعد باريتو أكثر عالم اجتماع فى عصره وربما فى عصور عديدة؛ بنى نظرية عن التغير الاجتماعى برؤية نيوتينية (Everette lee Hunt, 2017, Introduction) باعتباره مهندسًا ميكانيكًا؛ حيث إن هذه الخلفية الهندسية شجعته على رؤية المجتمع كنسق متوازن، ولكن التوازن عنده توازن دينامى وليس استاتيكيًا (Michael Christensen: 2013, P. 469) فقد شيد نموذجًا هندسيًا للتوازن الاجتماعي، وأشار باريتو إلى أن الصفوة المركزية وغير المركزية ليست ثابتة بل تتغير لتحقيق التوازن. (Everette lee Hunt, 2017, Introdution)

ويعد كتابه "The Rise and Fall of Elites: Application of Theoretical Sociology" من الكتب الممتعة فى القراءة لكل من يهتم بالاجتماع أو العلوم السياسية فى أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين. ورغم أن باريتو يعد أحد أبرز الاقتصاديين فى عصره؛ إلا أن سبب شهرته الأبرز فى دوائر واسعة هو مناقشاته المؤثرة فى مجال علم الاجتماع والعلوم السياسية. وقد ظهر هذا التأثير القوى بعد موت باريتو عام ١٩٢٣ حيث أشار موسيلنى (Mussolini) له بقوله إن "باريتو ليس فاشيًا (Fascist)، ولكنه قدم الكثير للتفكير الفاشي". كما تم ترجمة بعض أعماله فى أمريكا عام ١٩٣٦ وحظيت بدرجة عالية من الشعبية، حتى أن جريدة "Saturday Review" أفردت له الغلاف وكرست عددًا كاملاً لأعماله، ولكن هذه الشعبية تقلصت أثناء

الحرب العالمية الثانية، حيث اعتبر البعض باريتو منظّرًا أيديولوجيًا للعدو. ورغم أن جماعات اليمين النشط كانوا يطلقون على باريتو دائمًا "رجلنا"، إلا أن باريتو نفسه كان يرفض أن يصنَّف بمحاذاة أى حركة اجتماعية، إذ كان رجلاً فخورًا بذاته بدون تصنيف، فقد كانت تحيُّزاته واضحة بشكل جلى فهو ضد أى ميل سياسى أو اتجاه يؤيد أو يحابى الجمود الاجتماعى (التعظم) مقابل التغير الاجتماعى (Social Ossification Over Social change)، كما يرفض كذلك اللجوء للعزوة مقابل الإنجاز (Ascription over achievement)، كما يحابى باريتو القوة والصلابة عن اللطف والرخاوة فيرفض سيطرة اللطف والرخاوة (Softness over Toughness)، ولذلك يرى باريتو– كما سنوضح لاحقًا– أن الجماعة المسيطرة "Dominant Group" تنجو أو تبقى مسيطرة فقط عندما تمد الأفراد المتميزين بفرص ومزايا ومكافآت مع عدم التردد فى استخدام القوة للدفاع عن وجودها. وقد تهكم باريتو وهاجم الصفوة التى تنزع نحو الإنسانية والحساسية والشفقة، ورأى أن النخبة يجب أن تكون "Though minded" أو صارمة العقل. (Evertett lee Hunt: 2017, Introduction)، وربما هنا يماثل باريتو فكرة مكيافللى "أن الأمير عليه ألا يكترث بتهمة القسوة، إذا كان فى ذلك ما يؤدى إلى وحدة رعاياه وولائهم، فمن الأفضل أن يخافك الناس على أن يحبوك". (نيفولو مكيافللي، ٢٠٠٢، ص١٤٢: ١٤٤) حيث يرى باريتو أن إظهار هذه المشاعر الإنسانية وانتشارها سوف يؤدى بكل بساطة لإضعاف النخبة وما تحققه من مزايا. ولفهم آراء باريتو حول هذه المشاعر والعواطف التى هى أساس العناصر الداخلية التى يتكون منها المجتمع، علينا أن نفهم نمطين للفعل الاجتماعى لدى باريتو: الفعل المنطقى "Logical Action" والفعل اللامنطقى "Non- logical Action" كأساس للسلوك، فيرى باريتو أن العناصر غير المنطقية فى المجتمع أو الفعل يمكن أن تحدد أكثر الأسس التى تبدو منطقية للفعل الاجتماعي. (Michael Christen sen: 2013, P. 468)، حيث يشير إلى أن الجزء الأكبر من الأفعال الإنسانية لا يحدث لأسباب منطقية، بل لأسباب عاطفية لا عقلانية لا منطقية، ولكنه يربط دائمًا أفعاله بأشياء وتفسيرات منطقية. وقد فسر باريتو الأسس التى قد تستند إليها الأفعال الاجتماعية خاصة غير المنطقية إلى مجموعة عوامل أو إلى مفهومين أساسين فى فهم أفكار باريتو: الأول مفهوم الرواسب (Residues)، والثانى مزيج من عوامل متعددة وتسمى المشتقات (derivations) والتى تشكل المخزون الأكبر من الأفعال الإنسانية، وتظهر الرواسب كدافع داخلى لمعظم الأفعال الإنسانية، أما المشتقات فهى المسئولة عن الإعداد الخارجى للأفعال الإنسانية (Everette lee Hunt, 2017, Introduction). وتعد الرواسب هى المرآة العاكسة للعواطف والمشاعر، وهى تشير إلى مجموعة من العناصر الثابتة المستقرة، أو لنقل: السمات الثابتة المستقرة للنظريات غير العلمية التى تحكم الأفعال غير المنطقية. فكلمة الرواسب تشير إذن إلى الدوافع والمشاعر المستقرة التى تحدد الأفعال غير المنطقية، أما المشتقات فإنها جوانب متغيرة، وهى تشير إلى مجموعة الأساليب التى يبرر بها البشر أفعالهم ويشرحونها، فالرواسب أكثر ثباتًا، وهى الأساليب التى تضفى على هذه الأفعال تبريرًا وشرعية، ومن هنا فإنها تتغير بتغير الظروف. (أحمد زايد، ٢٠٠٥، علم الاجتماع السياسي، ص٦١).

وقد اهتم باريتو بستة رواسب رئيسية، وكل راسب له فئات فرعية، وهذه الرواسب الرئيسية هي:

١- راسب التكامل والترابط Combination: الميل للاختراع والدخول فى المغامرات.

٢- راسب استمرار الجماعات أو (المحافظة على النوع) (Preservation): الميل للقوة والاندماج والمحافظة على الأمن.

٣- التعبير والفاعلية Expressiveness: الميل لإبداء المشاعر من خلال التعبير بالرموز.

٤- الألفة الاجتماعية Sociability: الميل إلى الانتساب للآخرين.

٥- التكامل الفردى Integrity: الميل للحفاظ على صورة ذاتية جيدة.

٦- الجنس Sex: رؤية الأحداث الاجتماعية بمفاهيم شهوانية.

وقد ركز باريتو على الراسبين الأولين لتحليل الصفوة، فاهتم برواسب الابتكار والتجديد Innovation أو بمعنى آخر رواسب التكامل Combination، واهتم كذلك براسب الاندماج أو التماسك "Consolidation، أو ما يعنى عنده استمرار الحفاظ على الجماعات Preservation of aggregates، فيرى باريتو أنه عندما تركز هذه الرواسب لدى فرد ما فيمكننا هنا أن نتحدث عن المبتكرين المبدعين (Innovators) أو نتحدث عن المجمعين الأقوياء Consolidators، ويرى باريتو أن الأقوياء المجمعين هم من يسعون للحصول على المعاش والتأمين على الحياة من خلال عمل ثابت ومضمون وقوانين صارمة، أما المبتكرون المجددون فيقومون بعمل أشياء غير مألوفة، ولهم تأويلات مختلفة، ويقومون دائمًا بمجازفات. (Everett lee Hunt, 2017, Introduction)

وقد ركز باريتو جل اهتمامه على الصفوة القائمة والصفوة المحتملة، ولم يهتم بالإشارة إلى باقى أجزاء المجتمع والجماهير، وذلك لأن باريتو رأى أن التغير الاجتماعى وتغير أماكن الأفراد يعد أسرع فى الشرائح العليا (Upper Stratum) عنه من الشرائح الدنيا (Lower Stratum)، كما أن تأثير القرارات والأحداث التى تقوم بها الصفوة (Elite) على المجتمع والتاريخ أقوى وأكثر تأثيرًا من تلك الجموع الكثيرة أو اللاصفوة (Non Elite) عند باريتو وهى الشريحة الدنيا، والتى يعاملها باريتو كقطيع للثورة فى يد النخبة أو عوامل تسهم فى ثبات وجمود المجتمع، حيث يرى باريتو أن دراسة التغير التاريخى تتمحور وتدور حول دراسة النخبة.

ولهذا تركزت أفكاره حول التغير المجتمعى فى نظرية دوران النخبةCirculation of the Elite التى وجدت فى ثلاث مصادر رئيسية كتب باريتو جميعها عندما تعدى الخمسين من عمره، وهذه الكتابات هي:

١- دراسة اللقب "An ongraph entitled", "Un appliczione de teorie Sociologiche", "Rivistaitalian a di sociologia, 1901"، والتى قدم فيها أقصر وأكثر مقدمة مقروءة لنظريته عن دورة الصفوة، وعرفت مؤخرًا عند طباعتها بالإنجليزية باسم "صعود وهبوط النخبة تطبيقات على النظرية الاجتماعية"

"The Rise and fall of the Elites: An Application of Sociological Theory".

٢- أما الثانى "Le systemes Socailistes" وكتبه باريتو بالفرنسية والإيطالية، وبه حلل باريتو الماركسية كدين علماني، كما ناقش بهذا العمل الاعتبارات غير المنطقية للأفعال البشرية.

٣- أما "Manuale di economia politica" فهو العمل الذى كتبه بالإيطالية عام ١٩٠٦ وبالفرنسية فى ١٩٠٩، وكتب الفصول الافتتاحية لهذا العمل عام ١٩٠١ وكانت حول المنهجية الاجتماعية.

٤- وتعد دراسته "Tratlato di Sociologia generale" أو مقال فى علم الاجتماع العام، هى العمل الرئيسى لباريتو وكتبه عام ١٩١٦ ومكون من ٣٠٠٠ صفحة، وهذا العمل أساس تشكل نظرية للصفوة، رغم أنه عمل منظم بشكل سيئ وشاق على القارئ، لكنه أساس أول نظرية افتراضية واضحة عن الصفوة فى علم الاجتماع، وقد ترجم إلى الفرنسية والإنجليزية والألمانية. وعنونت الترجمة الإنجليزية لهذا العمل فى البدء بالعقل والمجتمع عام ١٩٣٦، ولكن إعادة الطبع كانت بالعنوان الصحيح وهو مقال فى علم الاجتماع العام "Treatis on General Sociology"، وكانت فى نيويورك لـ Dover عام ١٩٦٣. (Evertl Lee Hunt, 2017, Introduction)

ودراسة باريتو للصفوة ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بمسألة اختلال المجتمع وتوازنه، وهى تلك الفئة أو الأقلية التى تمتلك صفات استثنائية، وتتمتع بقدرات هائلة، فهى تشكل من أولئك الذين ينالون أعلى العلامات فى أى حقل من حقول النشاط، وقد قسم باريتو النخب السياسية على تقسيم مكيافيلى إلى نخبة الثعالب ونخبة الأسود، ويتم تغير النخب أو دورانها بشكل تدريجى، وتستند تلك النخبة كما أوضحنا إلى أسس نفسية أو سيكولوجية فى ضوء مفهوم (الرواسب)، وتفسر تلك الرواسب سيطرة نخبة واختفاء أخرى ما بين الميل إلى التفكير والتأمل (الثعالب) والميل للبقاء وتعزيز المكانة (الأسود)، أى ما بين المكر والدهاء والمساومة والقوة والمواجهة والعنف، ويؤثر توزيع الرواسب فى المجتمع تأثيرًا كبيرًا، فحينما تسود رواسب التأمل والتفكير يحكم أهل المكر والذكاء، والذين يحكمون عن طريق الرضا العام والمساومة والحلول التوفيقية واختراع الأيدولوجيات. وقد تسود لدى الآخرين من النخبة رواسب الميل للبقاء وتعزيز المكانة، فيشكلون بذلك أهل القوة والمواجهة الفورية للأزمات، ويلجأون إلى استخدام وسائل العنف لمواجهة المعارضة، وفرض النظام العام. ويرى باريتو أن تاريخ الدول والحكومات هو تاريخ النخبة، ولذا فقد قال باريتو إن التاريخ الحقيقى هو تاريخ موت النخب الحاكمة والأرستقراطيات وولادتها من جديد، وقال باريتو قولته المشهورة: "التاريخ مقبرة الأرستقراطيات (L'historie est un cimetiere d'aristocraties)".

وهكذا يمكن القول بأن تناوب النخب السياسية ودورانها حول السلطة والحكم من أهم عوامل تحقيق التوازن الاجتماعى وانسجامه. (جميل حمداوي: ٢٠١٥، ص ص ٢٩: ٣٦)

فيرى باريتو أنه من نتائج دوران الصفوة، أن الصفوة تتحرك أو تنساب مثل النهر، فصفوة اليوم غير صفوة الأمس. (Francios Nielsen: 2007, P. 629). فيرى باريتو أن الحكم يُتداوَل باستمرار فى دورة الصفوة (Circulation of Elite) بين الجماعتين فى الصفوة الحاكمة التى تنقسم إلى فئتين- كما أوضحنا- فئة الثعالب وفئة الأسود، ويتشكل الصراع السياسى فى المجتمع بين هاتين الجماعتين، فالجماعة الحاكمة تصل إلى الحكم من خلال تفوقها فى استخدام قدرات الرواسب عندها، ولكنها تفقد تدريجيًا قدرتها فى استخدام الرواسب التى تملكها والتى أوصلتها إلى الحكم، فى هذا الوقت تكون الجماعة الواقعة خارج نطاق السلطة وتمتلك رواسب مغايرة تكون ساعية إلى تقوية الرواسب التى تملكها، وقد تأخذ زمام السلطة (أحمد زايد، ٢٠٠٥، ص٦٣)

بحيث تصبح النخبة الحاكمة دائمًا فى حالة من التحول المتواصل البطىء، أى أنها تتحرك بانسياب كالنهر، لا يمكن أن يكون اليوم هو ذاته الأمس، فيجب أن يحدث من وقت لآخر اضطراب عنيف، ويرجع النهر مرة أخرى إلى مجراه منسابًا، وهكذا النخبة. ولكن..

متى تبدأ النخبة فى الاضمحلال؟

أشار باريتو إلى علامتين فاصلتين تدلان على بدء الانحلال النخبوى وهما:

١- أن تصبح النخبة أكثر مرونة وإنسانية وأقل قدرة للدفاع عن كيانها.

٢- تزداد تحكمًا وتمسكًا بالسلطة والمنافع المكتسبة فى ذات الوقت الذى تنخفض قدرتها على الحفاظ على تلك السلطة.

ويرى باريتو أن هذين العاملين يؤديان إلى انهيار النخبة فى حال اجتمعا معًا. (Byrone Shafer: 1991, PP. 194: 195)، وتسعى النخبة دائمًا للحفاظ على استقرارها واستمرارها من خلال دوران النخبة باعتباره آلية تعتمدها النخبة للمحافظة على ديمومة وجودها واستمراريتها، وإذا لم تحدث (دورة النخبة) بشكل سليم فإنه من الممكن أن يحدث تغير عنيف للنخبة أو انقلاب نخبوى أو ما يدعوه البعض ثورات ناجحة ومؤثرة. فتشير "Suzanne Donner" إلى أن دورة النخبة إذا لم تتم بالشكل الانسيابى والسليم لأى سبب من الأسباب فإنه بالتأكيد سوف تحدث ثورات مؤثرة، فالمجتمع عند باريتو كما أوضحنا هو كيان غير متجانس "Hommoggeneou setity" وبه تدرج هيراركى واضح، وعلى رأسه النخبة أو الصفوة التى هى مزيج من الثعالب رجال الخيال (الابتكار) "Men of Imagination and Shrewdness" والأسود رجال الأفعال (القوة) "Men of Action".

إذن متى تحدث الثورة عند باريتو؟

يرى باريتو أنه عندما تصبح الصفوة شديدة التجانس فإن ذلك يعجّل بنهاية واضمحلال الصفوة، حيث إن عدم التجانس هو أمر شديد الأهمية للاستقرار لدى باريتو، وعندما تصبح الصفوة شديدة التجانس فإن ذلك يعنى لدى باريتو أنها تصبح مغلقة وتفصل ذاتها عن المجتمع، وذلك يؤدى إلى أن يتخللها كثير من الضعف فتفشل فى تشجيع وفتح طرق للدخول إليها. (Suzanne Donner Uromen: 1977, PP. 522: 523). وهذا البطء فى الدوران أو الانغلاق يرتبط بضعف الرواسب لدى الصفوة الحاكمة، وهنا قد تحدث الثورة، كما يشير "Nielsen" أن الثورة تحدث إما لبطء دوران الصفوة أو لوجود عوامل تدنى فى المستوى التراكمى لدى الطبقات المتفوقة، هذه العوامل تؤدى لأن تصبح الرواسب لدى الطبقة المتميزة لا تمكنها من القدرة على البقاء فى أماكن القوة، فى الوقت ذاته تطور الجماعة الأخرى رواسبها وسمات التميز ليصبح لديها الرواسب الضرورية لامتلاك القوة، ويشير "Nielsen" إلى أن قراءة مقال باريتو الذى كُرس لعرض نظريته العامة حول دوران النخبة تظهر أن هناك ملابسات أو ظروفًا محددة يمكن أن تنتج الثورة لديه، وهذه الملابسات والظروف هي:

١- بطء أو توقف دورة النخب والذى يجعل الطبقة الحاكمة غير قادرة على البقاء فى موقع القوة، لأن المميزات والسمات التى حققها الأفراد من عضويتهم فى الطبقة الحاكمة لا تورّث لسلالتهم، وغياب توارث موهبة الحكم من جيل لآخر فى الجنس البشري، مع عدم قدرة الطبقة الحاكمة أو الصفوة القائمة على حماية امتيازاتها، قد يُحدث الثورة نتاجًا لبطء أو توقف دورة النخبة.

٢- الظرف الثانى لإحداث الثورة فى النخبة هو إحداث تغييرات سريعة فى الصفوة، خاصة من خلال تصعيد أفراد إلى الصفوة طبقًا لمعايير اجتماعية، ولا يملكون المهارات المطلوبة والرواسب لبقائهم فى موقع القوة، مما يؤدى إلى ضرورة تغير النخبة. (Francois Nielsen, 2007, PP. 629: 630)

ويلاحظ هنا أن باريتو لم يعط للجماهير أدنى اهتمام، حيث إن الجماهير لا تملك أى قوة وهى ليس لديها الرواسب التى تمكنها من التأثير فى المجتمع، وربما كان هذا سببًا فى توجيه العديد من النقد إلى نظرية النخبة وأفكارها وعلى رأسها أفكار باريتو، والتى يرى العديد من الباحثين صعوبة تحقيقها أو الأخذ بها إلى حد كبير، ويرى البعض أن أفكار باريتو النظرية حول النخب قد ساهمت فى تطوير التفكير عن آليات تحقيق توازن المجتمعات وإدراك أهمية دوران النخبة، والتناوب على السلطة من أجل تحقيق الاستقرار والتوازن المجتمعي. ورغم أن أفكار منظرى النخبة وخاصة باريتو وجه لها الكثير من النقد، إلا أنه لا يمكننا أن نتجاهل أن بعضًا من أفكارهم مازالت ملائمة للاستعمال والمناقشة فى وقتنا الحالي، وإن كانت هذه الملاءمة لا تكون بشكل كامل بل بعض من هذه الأفكار يتناسب مع الواقع المجتمعي، فلا يمكن أن ننكر أهمية مفهوم دورة الصفوة كمفهوم محورى فى علم الاجتماع السياسي، وعلى الباحثين الاهتمام به، ولكن ما يطلب منا عند الاستفادة أو تطبيق نظريات كنظرية باريتو هوعقلية محددة لاستخدام نظرية فى حقبة تاريخية مختلفة لمعالجة السياسة المعاصرة، ولنكون أكثر تحديدًا فإن استخدام نظرية كدوران الصفوة

تحتاج من الباحثين عند أى تحليل يستخدم بإعادة العمل لتفاصيل الحقبة الزمنية، فمن المؤكد كما أشار "Byron Shafer" أن التفاصيل السياسية فى حقبتهم الزمنية كانت تعتمد على ابتكار تعميمات نظرية، واستخدام هذه التعميمات على سبيل المثال فى عصرنا الحالى هو أمر بالقطع غير ملائم بالمرة، وعلى هذا حينما ندرس نظرية كنظرية باريتو عن دوران النخبة لا يكون الهدف دراسة احتمالية صوابها؛ أو لماذا لم تكن صوابًا فى موطنها الأصلي، ولكن ندرسها كمحاولة لتفسير السياسة المعاصرة؛ أى نستخدمها فى صراعنا مع القضايا الكبرى فى مجتمع اليوم. (Byron Shafer: 1991, P.212)

ربما ننجح فى تفسير بعض من الغموض الذى يحيط بنا فى المجتمع الحديث، ورغم أن هذه الورقة البحثية أخذت من نظرية دوران النخبة لدى باريتو نقطة اختيار لتفسير الدوران النخبوى مع الأخذ فى الاعتبار بالسياق الزمنى والتاريخى المختلف، وما طرأ من تغيرات مجتمعية، إلا أن هناك نقطة أخرى جديرة بالاهتمام ألا وهى أن الإشكالية لم تكن فقط السياقَ الزمنى المختلف، بل إن السياق المجتمعى ذاته مختلف، حيث إن سائر النظم السياسية مؤخرًا فى كل المجتمعات فى طول العالم وعرضه تصف نفسها بالديمقراطية، غير أن ما تقوله هذه النظم وتفعله يتباين بشكل جوهرى بين نظام وآخر، وتبدو الديمقراطية أداة شرعنة للحياة السياسية الحديثة. لقد خرجت الديمقراطية من أرحام صراعات عدة وغالبًا ما يضحى بها فى مثل هذه الصراعات. (ديفيد هيلد: ٢٠٠٦، ص١١)

ومن المؤكد أن التشدق بالشعارات الديمقراطية، تجعل فكرة دوران النخبة بشكل عنيف وغير ديمقراطى هو أمر نسبى ويختلف من مجتمع لآخر، وبالتالى فإن هناك صعوبة نظرية فى توظيف نظرية النخبة وخاصة فكرة "دوران النخبة" فى الوطن العربى، حيث إن هذا التوظيف قد يكون محفوفًا بالعديد من الصعوبات منها:

١- تشابك وتعقد الأسس التى تنهض عليها النخبة، فأحيانًا قد تقوم النخبة على تفاعل عوامل رشيدة مع عوامل غير رشيدة: السياسية مع الاقتصادية والعرقية مع الثقافية.

٢- دور القائد السياسى فى تأسيس النخبة والحفاظ عليها، فقد تأسست نخب عربية متعددة اعتمادًا على شخصية الزعيم ودوره.

٣- صعوبة الوصول إلى المعلومات بفهم وتحليل النخبة السياسية العربية. (نصر محمد عارف: ١٩٩٦، ص١)

٤- طبيعة الممارسات السياسية فى العالم الثالث مثل تغير المواقف السياسية على نحو سريع وغير مفهوم وتغيُّر الانتماءات والتحالفات، وعدم وضوح الحدود بين ما هو سياسى وما هو مدني. (أحمد زايد وعروس الزبير، ٢٠٠٥، ص١١)

وتتخذ هذه الورقة النظرية من أفكار باريتو نقطة للانطلاق لاختبار موقف دوران نخبوى أو انقلاب نخبوى فى أحد أحزاب عالمنا العربى، ورغم أن هناك صعوبة فى اختيار نظرية دوران النخبة عند باريتو أو الأخذ بها إلى حد كبير، خاصة إغراقها فى أثر العوامل السيكولوجية، وتجاهلها للعديد من الأسس التى قد تنهض عليها نخبة القوة فى المجتمع والتى أشار إلى كثير منها منظرو الصفوة، حيث أكد موسكا ومشيلز على أن أساس قوة الصفوة هو قدرتها التنظيمية، أو كما أشار رايت ميلز إلى تعدد مصادر القوة فى المجتمع ومفهوم صفوة القوة وركائزه النظامية المتعددة الاقتصادية والسياسية والعسكرية، أو ما أضافه برنهام من أبعاد اقتصادية لمفهوم الصفوة.(نيرة علوان: ٢٠١٧، ص ص ٨٧: ٩٢) لذا فإن اختيار أفكار باريتو لاختبارها يرجع إلى أن الواقع قد أظهر بعض ملامح تحققها فى الواقع السياسى المعاش، وهذا ما جعلنا ننقل التفكير فى نظرية باريتو من مضمار اليوتوبيا النظرية غير القابلة للتحقق الجزئى أو الكلى إلى النظرية العلمية التى يمكن أن يتحقق جزئيًا بعض من أفكارها لتبنى نماذج نظرية مستحدثة من أفكار نظرية قديمة، مع الوضع فى الاعتبار المتغيرات المختلفة التى تظهر من البحث الميداني.

سابعًا: الدوران النخبوى الثورى فى حزب الوفد الجديد:

وفى هذا الجزء ننتقل بأفكار باريتو الكلاسيكية حول دوران النخبة إلى سياق أكثر معاصرة، حيث أعاد إلى الحياة موقف دوران النخبة الثورى فى حزب الوفد الجديد بعض تفسيرات نموذج باريتو النظرى وأفكاره حول الانقلاب النخبوى، والذى كان سابقًا ينظر إليه من خلال الباحث كنوع من اليوتوبيا النظرية ذات البعد التفسيرى الواحد، ولكن الواقع المعاصر قد استدعى هذه الأفكار النظرية لتقديم بعض التفسيرات التى قد تكون مقبولة نسبيًا. ونبدأ هنا بعرض سمات خصائص البناء الذى تعمل به النخبة وهو حزب الوفد، ثم نبدأ بتحليل عناصر الموقف من زمان ومكان وفاعلين وآليات.

١- حزب الوفد الجديد من السياق الكاريزمى للعقلاني:

لن نوغل هنا فى الحديث عن تاريخ حزب الوفد بل سنهتم بحزب الوفد الجديد بشكله القائم فى الفترة الزمنية التى تهتم بها الورقة البحثية. وينبغى هنا أن نشير إلى أن حزب الوفد الجديد قد عاد للحياة السياسية بتاريخ ٥ فبراير ١٩٧٨ عندما تقرر إعادة العمل بنظام تعدد الأحزاب (دليل الوفد: ١٩٩٢، ص١٣)، إلا أن الحزب قام بحل نفسه بعد ذلك بناءً على قرار للجمعية العمومية التى انعقدت فى ٢ يونيو ١٩٧٨ برئاسة فؤاد سراج الدين رئيس الحزب فى تلك الفترة، وذلك نظرًا لبعض الإجراءات الاستثنائية

التى اتخذتها الدولة فى الفترة السابقة والتى رأى الحزب عدم قدرته على العمل فى ظلها. (على سلامة: ١٩٧٨، ص١٣) إلا أن الحزب عاد مرة أخرى إلى ساحة العمل السياسى بتاريخ ٢٩ أكتوبر ١٩٨٣ بعد أن صدر حكم محكمة القضاء الإدارى لمجلس الدولة بعودته، إلا أن الحكومة طعنت فى هذا الحكم ولكن الحزب عاد بعد تأييد الحكم السابق بتاريخ ٢ يناير ١٩٨٤. (دليل الوفد: ١٩٩٢، ص١٤)

ويشكّل الهيكل التنظيمى لحزب الوفد الجديد خلال الفترة التى اهتمت بها الورقة البحثية من الهيئات التالية:

أ- الهيئة الوفدية: وتعد لائحيًا أعلى سلطات الحزب.

ب- رئاسة الحزب: وهى من رئيس الحزب ونواب الرئيس.

ج- الهيئة العليا: وتتكون من ستين عضوًا يتم انتخاب أربعين من الهيئة الوفدية بالاقتراع السرى لمدة خمس سنوات- ويعين رئيس الحزب عشرين عضوًا.

د- المكتب التنفيذي: ويتكون من رئيس الحزب، ونواب الرئيس والسكرتير العام ومساعديه، وأمين الصندوق ومساعديه ورئيس الهيئة البرلمانية للحزب أو أحد نوابه، وسكرتيرى الهيئة الوفدية.

ه- السكرتارية العامة.

و- الهيئة البرلمانية.

ز- اللجان الإقليمية.

ح- اللجان النوعية المتخصصة.

ط- لجان الشباب والنشاط النسائي. (دليل الوفد: مارس ١٩٩٩)

وينبغى أن نشير هنا إلى أن حزب الوفد الجديد تعرض لتغير واضح فى بنيته كما أظهرت إحدى الدراسات حول الحزب، وذلك فى ٢٠٠٠/٩/١ حينما تحولت رئاسة الحزب من السيطرة الكاريزمية التى ترتكز على الطابع والخصائص المتميزة للفرد وتمنحه نفوذًا غير عادى وقوة استثنائية إلى السيطرة العقلانية (Max Weber: 1964, P.358)، حيث كان رئيس الحزب الأول فؤاد سراج الدين ذا قوة كاريزمية أبوية تمكنه من السيطرة على مقاليد الأمور داخل الحزب، وقد تضاءلت هذه السيطرة المعنوية فى عهد رئيس الحزب التالى له د. نعمان جمعة، ولكن ظلت السيطرة اللائحية هى الأسلوب الأكثر قوة، كما اتسمت النخبة داخل الحزب بوجود جماعات شِللية، ولكنها تفتقد التنظيم مما يفقدها قوتها. (نيرة علوان: ٢٠٠٧، ص ص ٢٨٣: ٢٨٤)

وهذا هو البناء الذى تعمل به النخبة موضع اهتمام هذه الورقة البحثية والنخبة التى نعينها هى الهيئة العليا، والتى تتضمن الرئيس وهيئة المكتب وأعضاء الهيئة البرلمانية والسكرتارية، وذلك باعتبارها هى المحرك الأساسى للهيئة الوفدية والتى تعد لائحيًا هى أعلى سلطات الحزب، ولكن الواقع الميدانى لا يعكس هذا، وسنبدأ التحليل بالتعرف على عدد من العناصر وهى:

أ- الزمان: الفترة من ٢٠٠٦ إلى ٢٠٠٨.

ب- الموقف: دوران النخبة داخل حزب الوفد الجديد، وتغير بنية النخبة بشكل مفاجئ وثوري.

ج- الفاعلون:

ج١- أعضاء النخبة الحزبية: وهم مزيج متغير من (المحافظين والمجددين) أو (الحمائم والصقور) كما سنوضح لاحقا.

ج٢- الكوادر الدنيا من الحزب (جماهير الحزب).

ج٣- محايدون (داخل النخبة الحزبية- الأحزاب الأخرى ... إلخ).

ج٤- السلطة الحاكمة خارج الحزب.

د- المكان: مبنى الحزب ومحيطه- مبنى الجريدة ومحيطها- الشارع المحيط (القهاوي- الأرصفة- الفنادق).

وينبغى أن نشير قبل البدء فى تحليل الموقف إلى أن النخبة بدأت كما سبق أن أظهرت دراسة سابقة كمزيج من جماعات شللية مختلفة، أقوى تلك الجماعات هى الجماعة التى بها الرئيس. وننتقل هنا إلى عناصر التحليل لموقف الانقلاب النخبوي.

٢- تحولات النخبة من التجانس الظاهرى إلى اللاتجانس (إرهاصات ما قبل الدوران النخبوى الثوري):

عند باريتو نبدأ من التوازن المجتمعى، فهل يمكننا أن ننظر إلى النسق الحزبى بعين باريتو كنسق متوازن وكانعكاس لتوازن المجتمع، فهل نقطة البدء فى التحليل هى التوازن الدينامي، ربما تحقق ذلك فى بداية تحول النخبة ورئيسها من السياق الكاريزمى "بقيادة" سراج الدين إلى السياق العقلانى "برئاسة" نعمان جمعة، حيث حدث هذا التحول فى شكل رئاسة حزب الوفد فى انتخابات رئاسة الحزب فى سبتمبر ٢٠٠٠، وتصدر "نعمان جمعة" رئاسة الحزب بنسبة ٧٨% بفوزه أمام حفيد رئيس الحزب السابق أو

الباشا كما يطلق عليه أعضاء الحزب، وصعد الرئيس ذو السلطة القانونية بفضل نخبة الحزب الحاكمة التى دعمته والتى كانت تبدو متجانسة بشكل واضح على مستوى الظاهر، ولكنها كانت مزيجًا واضحًا من المجددين أو الثعالب الذين لديهم رغبة فى التغير، والأسود المحافظين من أعضاء الحزب القدامى الذين لديهم الرغبة فى الحفاظ على استقرار الحزب بفوز نائب رئيس الحزب الذى اختاره الباشا، وقد اقترن هذا الفوز بمطالبات إصلاحية من العديد من أعضاء النخبة، ووعد رئيس الحزب أصدقاءه من النخبة بتنفيذها. وظل الوضع هادئًا مع الرغبة فى إحداث تغير فى اللائحة لتقليص السلطات المفرطة المخولة لرئيس الحزب فى اللائحة، ولكن ظلت نخبة الحزب متماسكة ظاهريًا ومتوازنة خاصة فى ظل ترشيح الحزب رئيسَه لخوض غمار الانتخابات الرئاسية فى سبتمبر ٢٠٠٥. ورغم حصوله على ٢.٩% فقط من الأصوات، إلا أن ما ناله رئيس الحزب من شعبية فى تلك الفترة وما أقامه من مؤتمرات تم الحشد لها من نخبة الحزب فى الأقاليم، كان نقطة تحول جوهرية فى علاقة رئيس الحزب بالنخبة خاصة الجماعة المقربة منه. وكما يشير "أحد القادة" المقربين منه أن رئيس الحزب تعامل مع أصدقائه بمنطق رئيس الجمهورية واستخدم لفظ ربما أصابه "جنون العظمة".

حيث قام بمحاولات لتدعيم موقعه النخبوى واستبعاد عدد من الصحفيين من الجريدة وفصلهم، واستبعاد آخرين من الهيئة الوفدية أى اتخاذ قرارات شديدة الصرامة ومعه عدد قليل من النخبة وكانت القرارات ذات طبيعة انفرادية. كما أشار أحد قادة الحزب بقوله "إن رئيس الحزب يأخذ قرارات عديدة فردية، ودائمًا ما يلتفّ على قرارات الهيئة العليا، ويخرج عن الالتزام الحزبي، وينفرد فى اتخاذ القرارات، خاصة محاولة تغيير الجمعية العمومية بالمخالفة لأحكام اللائحة". (الشرق الأوسط، ٢٠٠٦، ص٢) ويؤكد هذه القرارات الانفرادية تصريح رئيس الحزب فى تلك الفترة بقوله "لقد حاولوا السيطرة على الجمعية العمومية وبالتالى على الحزب، ولكن شطبت لهم ٨٥٠ من التابعين لهم". (الأهرام: الجمعة، ٢٠ يناير ٢٠٠٦، ص١)

وفى ظل هذا السياق النخبوى الملتهب تحوّلت النخبة التى كانت مزيجًا هادئًا ومتجانسًا نسبيًا رغم أنها حوت جماعات متعددة ذوى سمات اجتماعية وسيكولوجية مختلفة أو بتعبير باريتو مزيجًا من الثعالب والأسود يعملان معًا، وليس كما أشار باريتو أن هناك تربصًا من إحدى جماعات النخبة للجماعة الأخرى؛ حيث إن رئيس الحزب ابتعد عن جماعته النخبوية التى صعدت به إلى رئاسة الحزب بما تملكه من حكمة ومهارة على إدارة اللعبة السياسية والانتخابية والتى أطلقنا عليها "الثعالب" أو المجددين الذين استطاعوا بدعمهم له الفوز على حفيد الباشا وجذب قدامى الحزب من المحافظين للتصويت لنائب الرئيس باعتباره اختيار الرئيس السابق له، ولكن فى ظل رغبة الرئيس السابق فى الانفراد بالسلطة واتخاذ قرارات فردية وإغلاق فرص انفتاح النخبة بإسقاط عضوية عدد ٨٥٠ عضوًا من الهيئة الوفدية، وتحذير أعضاء النخبة له من مغبة ذلك ورفضهم لهذه الإجراءات التعسفية، أظهرت النخبة الحزبية شكلاً من عدم التجانس، وبدأت تحركات الثعالب، وهنا لم يكن نزوع بعض عناصر الصفوة برئاسة رئيس الحزب نحو الإنسانية والشفقة هى المحرك أو الباعث إلى الرغبة فى التغير كما أشار "باريتو"، بل العكس، وأن العقل الصارم " Taugh minded" والانفرادية ربما كان ذلك من أجل الحفاظ على الوضع القائم والرغبة فى عدم تغيرة هى التى صنعت شرارة التغير الثوري، وتحولت النخبة من التجانس الظاهرى إلى اللاتجانس تمهيدًا للانقلاب النخبوي.

٣- الانقلاب النخبوى ودوران النخبة الثورى "الفكاك من دائرة انغلاق النخبة":

ورغم أن باريتو وضع علامتين للانحلال النخبوى، ومنهما أن تصبح النخبة الممسكة بزمام السلطة أكثر مرونة وإنسانية، مما يفقدها قدرتها الدفاع عن كيانها، إلا أن الواقع أثبت أن الرئيس وبعض النخبة أصبحوا أكثر صرامة مع محاولات للسيطرة اللائحية وإغلاق النخبة. وهنا ظهر العامل الآخر للانحلال وهو ازدياد التحكم والتمسك بالسلطة والمنافع المكتسبة، ومحاولات منع دورة الصفوة أن تتم بالشكل الانسيابى السليم، وهنا ظهرت نخبة رجال الابتكار أو المجددين "Men of Imagination and Shrewdness" من داخل الصفوة الحاكمة ذاتها وليس من خارجها، وتحولت الصفوة الحاكمة من التجانس الظاهرى إلى اللاتجانس الواضح، ورغم أن ذلك مؤشر عند باريتو على الاستقرار، ولكنه فى الواقع كان دافعًا ومحركًا للتغير لرفض عناصر النخبة من المجددين (الثعالب) من داخل الصفوة محاولات السيطرة وإغلاق النخبة، وهو أحد ظروف إحداث دوران نخبوى ثوري، ولكن من داخل النخبة ذاتها. ونعرض لهذا الانقلاب النخبوى فى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: المرحلة التحذيرية:

وهنا، لأن النخبة المجددة كانت هى النخبة المقربة من رئيس الحزب والتى سعى لاستبدالها بعد مجموعة من الإخفاقات له، فقد قامت تلك النخبة بإطلاق تحذيرات عديدة لرئيس الحزب السابق، بأن ما يفعله يسيء للحزب، وأنهم يرفضون ما يحدث، وكان ذلك بشهادة أصدقاء رئيس الحزب المقربين بأنهم أخبروه أن ما يفعله هو لعب بالنار، وأنه لا يجب الاستهانة بأعضاء الهيئة العليا بالوفد وتجاهلهم، خاصة وأن رئيس الحزب قام بفصل "منير فخرى عبد النور" سكرتير عام الحزب بقرار منفرد، ولهذا فقد عقدت

نخبة المجددين عدة اجتماعات بوجود نائب رئيس الحزب ومساعد رئيس الحزب وعدد قليل من أعضاء الهيئة العليا للتمهيد لعزل الرئيس السابق من خلال الهيئة العليا، وسمحوا بتسريب معلومات للرئيس على اعتبار أن ذلك ربما يثنيه عن تهميش الهيئة العليا، وكل المحاولات باءت بالفشل لتنتقل النخبة الحزبية إلى مرحلة أخرى.

المرحلة الثانية: الانقلاب النخبوى وسيناريو الانقلاب الثورى:

فى تطور سريع للأحداث تصدرت أخبار نخبة حزب الوفد عناوين الصحف، فخرجت صحف ٢٠٠٦/١/١٩ بعناوين مثل:

- "انفجار الصراع فى حزب الوفد .. وقياداته يتبادلون قرارات الفصل" (المصرى اليوم: الخميس ٢٠٠٦/١/١٩، ص١)
- صراع الشرعية فى الوفد: إسقاط نعمان جمعة. (روز اليوسف الخميس ١٩ يناير ٢٠٠٦، ص١)
- "حزب الوفد يدخل دوامة الانقسامات الخطيرة بعد دراما سياسية عنيفة" (الأهرام: الخميس ١٩ يناير ٢٠٠٦، ص٥)
- "انقلاب فى حزب الوفد" (نهضة مصر، الخميس– الجمعة ١٩– ٢٠ يناير ٢٠٠٦، ص١)

وهنا وبعد سلسلة من الأحداث والقرارات المنفردة مثل فصل منير فخرى عبد النور سكرتير عام الحزب، وأحد أبرز أعضاء نخبة الحزب الذين ساندوا الرئيس السابق، وبعد سلسلة من القرارات الفردية الأخرى مثل تعيين مساعدين للرئيس وتعيين نائب جديد بدون الرجوع للهيئة الوفدية؛ أى فتح باب النخبة أمام من لا يملكون المهارة كما أشار باريتو– أمام هذا الأداء من رئيس الحزب، والذى أكده أحد قادة الحزب وظهر من خلال المعايشة الواقعية، قام أعضاء المكتب التنفيذى بالضغط على رئيس الحزب من خلال الهيئة العليا، لإصدار قرارات لطلب تعديل اللائحة وتشكيل لجنة برئاسة "محمد علوان" مساعد رئيس الحزب آنذاك لتعديل اللائحة وعدم إقرار فصل منير فخرى، وغيرها من القرارات الفردية. وبعد الفشل الذريع فى انتخابات الرئاسة وانتخابات مجلس الشعب، انقلب نعمان جمعة على أصدقاء الماضى ليصبح أعداء الماضى هم أصدقاءه فأصبح له نخبة جديدة مثل أحمد ناصر المحامى وعدد قليل من النخبة. وهنا بدأ سيناريو جديد بعد أن انقلب الحال وتحول "صديق الأمس إلى عدو اليوم" داخل حزب الوفد.

لم يكن الموقف الانقلابى وليد الصدفة بل هو نتاج سلسلة من الاجتماعات، وعروض على الرئيس بالاستقالة، والاتفاق على أنه فى حال رفضه الاستقالة فالإقالة هى مصيره. حيث تسلسلت الأحداث كما يلى: أن الهيئة العليا اتخذت قرارًا نهائيًا بعزل د. نعمان من منصبه وصوّت لصالح قرار العزل ٣٣ عضوًا فى مقابل ٥ أعضاء رفضوا وانسحبوا من الاجتماع، وتم اختيار محمود أباظة رئيسًا انتقاليًا، وقد أشار محمود أباظة أن قرار عزل نعمان جمعة قانونى وجاء طبقًا للمادة "٥" من لائحة الحزب، وحدث ذلك حينما وجد أعضاء الهيئة العليا أن هناك أحد أعضاء الهيئة العليا ومعه ٢٥ عضوًا من أعضاء لجنة الوفد بالدقهلية داخل أتوبيس خاص والذين احتلوا قاعة الاجتماعات، وبعدها بدقائق توافد أكثر من ٨٠ شخصًا آخرين أحضرهم رئيس الحزب ليمنعوا أعضاء الهيئة العليا من الاجتماع، ووقفوا يهتفون لرئيس الحزب، وتطور الأمر لمشاجرات وتشابك بالأيدى بينهم وبين بعض أعضاء الهيئة العليا عندما اتهموا مجموعة "المجددين" أو الإصلاحيين كما يطلقون على أنفسهم بالعمالة والعمل على تخريب الحزب. وتفاديًا للصدام اجتمع أعضاء الحزب فى غرفة أمين الصندوق وكان عددهم ٣٣ عضوًا من أعضاء الهيئة العليا، وتم دعوة رئيس الحزب السابق للحضور عدة مرات ولكنه رفض، وأصر على مواصلة اجتماعه مع ٥ أعضاء فقط من أعضاء الهيئة العليا وهم (سمير وهبة وأحمد ناصر ومحمد عبده وعبد الله مهلهل ومحمد عطيه نعمان) واتخذوا قرارًا بتجميد الهيئة العليا وتجميد عضوية "محمود أباظه" النائب الأول لرئيس الحزب، ومحمد سرحان، ومنير فخرى عبد النور ٩٠ يومًا. مما أجبر أعضاء الهيئة العليا بالحزب للاجتماع بدونه، وقرروا بالإجماع عزل نعمان جمعة من رئاسة الحزب، واختيار محمود أباظة بالإجماع رئيسًا مؤقتًا للحزب "باعتباره أقدم نواب رئيس الحزب" لحين إجراء انتخابات على رئاسة الحزب خلال ٦٠ يومًا، وإبلاغ مجلس الشورى بقرار العزل. وقد أشار "أباظة" إلى أن سبب العزل هو تمسك الرئيس السابق بسلطاته المطلقة ورفض الإدارة الجماعية. (روز اليوسف: الخميس ١٩ يناير ٢٠٠٦، ص٣) وقد صرح أحد أعضاء الهيئة العليا وهو ليس من نخبة الرئيس السابقة أو التى صاحبت قرار العزل بـ" أن أخطر ما قام به جمعة اليوم كان بمثابة المسمار الأخير فى نعشه: إحضاره مجموعة من البلطجية احتلوا قاعة الاجتماعات لمنع أعضاء الهيئة العليا من الاجتماع، وتعديهم على بعض أعضاء الهيئة العليا بالضرب، هذا وحده كفيل بعزله". (روز اليوسف: الخميس، ٢٠٠٦/١/١٩، ص٣)

وكذلك أشار مساعد رئيس الحزب – الذى كان من أقرب المقربين للرئيس السابق وصديقًا شخصيًا له يتبادلان المكالمات التليفونية اليومية، والذى حارب من أجل نجاحه فى انتخابات رئاسة الحزب– "إن هذا الاجتماع كان الفرصة الأخيرة لنعمان ليتخلى عن سياسة الانفرادية فى إدارة شئون الحزب والرضوخ لصوت العقل والأغلبية وإدارة أمور الوفد بشكل مؤسسى وديمقراطى، ولذا

سنعزله إن لم يرضخ للأغلبية فهو لا يسانده سوى ١٢ شخصًا هم قلة منحرفة ومستفيدون من الوضع ويضللون رئيس الحزب ليستمر فى ديكتاتوريته". (روز اليوسف: ١٩ يناير ٢٠٠٦، ص٣)

وبعد هذا الاجتماع اعتبر أعضاء النخبة من المجددين أو الإصلاحيين "الثعالب" كما يخبرنا سكرتير عام الحزب آنذاك إلى أن من الساعة الواحدة من ظهر يوم الأربعاء ١/١٨ أصبح رئيس الحزب لا سلطة له وأن هناك رئيس الحزب بالنيابة لمدة ٦٠ يوما، وقد استند أعضاء الهيئة العليا فى قرارهم إلى المادة الخامسة من لائحة الحزب ونظامه الداخلى والتى تلزم كل عضو فى الحزب بعدم الخروج عن النظام الداخلى للحزب أو أن يسلك سلوكًا يتنافى مع الشرف والكرامة، وتحدد عقوبات العضو الذى يخل بالالتزامات الحزبية، والتى حددت بأربعة جزاءات هى التنبيه، واللوم والإنذار والفصل. (الأهرام: ١٩ يناير ٢٠٠٦، ص٥) وبالقطع فإن رئيس الحزب استقبل القرار برفضه وتجميد عضوية نوابه وسكرتير عام الحزب وإحالتهم للتحقيق، وأشار الى ان نص المادة "٥" التى استندوا إليها لا ينطبق عليه وأنه لا يملك عزله إلا الهيئة الوفدية. (الأخبار: ١٩ يناير ٢٠٠٦، ص٥)

ولم يكتفِ الرئيس السابق برفض القرار بل إنه فى سابقة فى تاريخ حزب الوفد قام الرئيس السابق ونخبته ممن نعتبرهم وفقا لباريتو رجال القوة (Men of Power) أو رجال الأفعال (Men of Action) بالبقاء فى المكتب، هو و ٦ من أعضاء الهيئة العليا و ١٠ من مؤيديه، وأخبرهم أنه لن يخرج من المكتب، وقرر النوم داخل مكتبه. (الأهرام: ٢٠٠٦/١/١٩، ص٥) ويلاحظ هنا فى هذا الموقف المأزوم أن فكرة الاستحواذ على الحزب بالقوة ومنطق الاستيلاء على المكان كان واضحًا حيث إن الرئيس وأنصاره قاموا بالمبيت فى الحزب وكانت لديهم استعدادات كاملة للأمر من بطاطين وملابس وغيره. (المصرى اليوم: الجمعة ٢٠٠٦/١/٢٠، ص٥)

وقد اعتصم الرئيس المعزول ونخبته بالحزب، ورغم إحاطة الحزب بأتباع المجددين أو النخبة الجديدة، إلا أنهم ذكروا أنهم يعاملون الرئيس السابق وجماعته معاملة محترمة وأحضروا له أدويته و ٢٠ وجبة كنتاكى، كما تناول إفطاره بالمكتب ولم يتعرض له أحد. (روز اليوسف: الجمعة ٢٠ يناير ٢٠٠٦، ص٤) النخبة الجديدة وأتباعهم بالخارج وخلال هذا السيناريو المحكم لإدارة هذا الانقلاب الثورى كانت لديها تكنيكات مختلفة ومؤثرات تم استخدامها كآليات لتدعيم السيطرة وامتلاك القوة داخل الحزب:

أ- الجريدة عاصمة الحزب:

كان باديًا للعيان أن الجريدة وهى لسان حال أعضاء الحزب هى عاصمة الوفد، فمنذ البدء حاولت الجريدة الابتعاد عن الخلاف، واتفق صحفيوا الجريدة على أن لا علاقة لهم بالأحداث، وصدرت فى اليوم الأول كما هى باسم نعمان جمعة. (الأهرام: الخميس ١٩ يناير ٢٠٠٦، ص٥)

وقد كان قرار الفصل لعدد من الصحفيين محركًا لبعض الأحداث، ففور إقالة الرئيس السابق للحزب بعضَ الصحفيين كان قرار عودة الصحفيين إلى الصحيفة مرة أخرى أول قرارات "المجددون"، وكذلك حُذف نعمان جمعة من ترويسة الجريدة. (الشرق الأوسط: الجمعة ٢٠ يناير ٢٠٠٦، ص٢)

فكما يظهر من تسلسل الأحداث أن من سيسيطر على الجريدة هو من سوف يسيطر على الحزب، حيث حاول جمعة أن يرسل مجموعة من أنصاره لاحتلال مقر الجريدة، وقام "أباظة" بتهديد رئيس التحرير بأنه سيقوم بفصله إذا ما اتخذت الجريدة موقفًا مؤيدًا لجمعة، وبعد ذلك تمكن صحفيو الوفد من الخروج من مقر الجريدة وبدأوا بالمشاركة فى الأحداث حيث طالبهم محمود أباظة بحماية مقر الجريدة، وتم الاتفاق على عدم نشر الجريدة أخبارًا عما يحدث داخل الحزب، ولكن تسربت معلومات أن هناك ديسكًا خاصًا سيشرح به الرئيس المُقال وجهة نظره، وهنا بدأ رواج شائعات بأن هناك إقالة لرئيس تحرير الجريدة (المصرى اليوم: الجمعة ٢٠ يناير ٢٠٠٦، ص٥)، ولكن هذا لم يحدث حيث صدرت الجريدة فى اليوم التالى برئاسة التحرير ومدير التحرير ذاتهما ولكن بدون رئيس الحزب، ولكن حدث اجتماع لمجلس إدارة صحيفة الوفد برئاسة محمود أباظة ومحمد علوان وسرحان ومنير فخرى والسيد البدوى ووعد به رئيس الحزب المؤقت بإصدار لائحة جديدة للصحفيين، ومنها تحسين الأحوال المادية لهم. (الوفد: السبت ٢١ يناير ٢٠٠٦، ص١)، وهكذا بدا وكأن الجريدة هى عاصمة الوفد وأن النخبة التى تسيطر عليها يمكنها امتلاك زمام الحزب كمنبع أساسى من ينابيع قوته، ومثبت ومدعم لدوران النخبة الثورى الذى حدث.

بدأ تحول واضح فى موقف الجريدة بعد أول اجتماع لمجلس إدارة الجريدة مع الرئيس الجديد ونخبته، فكانت عناوين الصفحة الأول الإعلان عن اجتماع الهيئة العليا للتصديق على اجتماع الهيئة العليا فى ١٨ يناير، وتعديل النظام الداخلي، وإعلان قرارات الهيئة العليا السابقة للوفد بتعيين أباظة رئيسًا مؤقتًا وإجراء انتخابات رئاسة الوفد خلال ٦٠ يوما، ووضع صور القرارات وكشوف اجتماع الهيئة العليا، وكذلك الإعلان عن إلغاء قرارات رئيس الوفد السابق وكذلك عنوان رئيسى عن مذكرة الوفد إلى

رئيس لجنة شئون الأحزاب، ووضع عنوان آخر عن الوفد وأن الحزب أصبح أمانة فى أيدى المخلصين، كما تضمنت الصفحة الأولى خبرًا عن أن لجان الوفد بالمحافظات تؤيد قرارات الهيئة العليا. (الوفد: السبت ٢١ يناير ٢٠٠٦، ص١)

وهنا بدأ جليًا تدعيم النخبة الجديدة ورئيسها لوضعها وتثبيت أركانها، بعد امتلاكها زمام السيطرة على المنبر الإعلامى للحزب وتحول لغة الخطاب من خطاب محايد إلى خطاب داعم ومحفز ومؤيد للدوران الثورى للنخبة. وبالقطع فإن المنبر الإعلامى هو من أقوى المؤثرات فى تعبئة تحيزات المجتمع وجماهير الحزب حيث إنه فى الغالب لا نستطيع أن نفصل فيما بين رؤية الفرد الخاصة للتحيز ورؤيته للموضوعات والقضايا الخفية التى يتم تعبئة تحيزه نحوها. (Johnathan Chait: 2002, P. 23)، ولهذا أطلق على الجريدة "عاصمة الحزب" لأن من يمتلكها يمتلك زمام السيطرة ومن ثم يوطد دعائمه وصعوده إلى قمة الحزب.

ب- الجماهير وشرعنة النخبة الحزبية:

فى هذه المرحلة لم تظهر قوة الجماهير المؤثرة فى صناعة القرار الثورى بالانقلاب داخل الحزب بشكل كبير، ولكن ظهرت الجماهير الحزبية كورقة ضغط تدعى الشرعية حيال الهيئة الوفدية هى أعلى سلطات الحزب، كما تشير اللائحة.

فمنذ بدء الصراع النخبوى وتنوع دور الجماهير الحزبية ما بين التواجد الفعلى الفيزيقى وما بين برقيات الدعم والتأييد والتواجد الرقمى ونعرض لهما بالتفصيل:

(ب-١) <u>التواجد الفيزيقى لجماهير الحزب:</u>

قبل الانقلاب الثورى استدعى رئيس الحزب مجموعة من أعضاء لجان الحزب للبقاء فى غرفة اجتماع الهيئة العليا ورفض إخراجهم من قاعة الاجتماع- حسب قوله- لأنه لن يطرد وفديًا من بيته، (المصرى اليوم: الجمعة ٢٠ يناير ٢٠٠٦، ص٥) وهنا بدأ استدعاء أعضاء اللجان المختلفة من محافظات الجمهورية إلى محيط الحزب. واعتبر أعضاء الهيئة العليا أن أولئك المرابطين داخل قاعات الحزب هم بلطجية، وذكر أعضاء الهيئة الوفدية أن رئيس الحزب أحضر ٥٠ بلطجيًا لمنع الهيئة العليا من الانعقاد. (الأهرام: الخميس ١٩ يناير ٢٠٠٦، ص٥)

وفى المقابل توافد فى الساعات الأولى أكثر من ٢٠٠ عضو بالحزب من قيادات الشباب خارج المقر وانتشر الباقون بالمقاهى المحيطة بالمقر، وظلت هتافات الجماهير تعلو "ارحل- ارحل". (الأهرام: الخميس ١٩ يناير ٢٠٠٦، ص٥)

وتزايدت أعداد الوافدين خاصة من مؤيدى الإصلاحيين، فتوافد أعضاء من حوالى "٢٠ لجنة" على مقر الحزب بالدقى، بل إن الحشود احتشدت فى المحافظات أمام لجان الحزب، كما استقل آخرون الأتوبيسات لعودة الحزب إلى مساره الصحيح، وظل شباب الوفد من أنصار الإصلاح يقومون بتسلية أنفسهم طوال الليل بترديد أغنية "ثور .. ثور يا شباب على ظلم الظالمين" وغيرها من الهتافات. (روز اليوسف: الجمعة ٢٠ يناير ٢٠٠٦، ص٤)

وهكذا أصبح محيط الحزب والمقاهى المحيطة والفندق المقابل للحزب مقرات ثابتة لجماهير الحزب خاصة الشباب، ولعب التواجد الفيزيقى دورًا كبيرًا فى إضفاء الشرعية على نخبة الإصلاحيين، ولم يكن دور الجماهير سلبيًا فى الدوران النخبوى الثورى بل كان داعمًا للحراك الثوري، كما ظهر مفهوم اللاحركة (Non Movements) "لأصف بيات" فى شكل مختلف حيث ظهرت جماهير الحزب بوجودها الثابت فى فضاء الحزب كصوت مؤثر، واستطاعوا أن يجعلوا أصوات رفضهم تُسمَع، وهم ليس بينهم روابط سابقة وإن كان هناك رابطة حزبية ورغبة فى التغيير، مستخدمين الحضور الفيزيقى فقط للعديد منهم وإن كان بعضهم خرج من إطار المفهوم إلى الحركة.

(ب-٢) <u>التواجد الرقمي:</u>

منذ الإعلان عن الدوران الثورى للنخبة بدأت لجان المحافظات فى إرسال رسائل تأييدها لقرارات الهيئة العليا بفصل جمعة عبر الفاكس (المصرى اليوم: الخميس ١٩ يناير ٢٠٠٦، ص١)، وقد كان هناك دور كبير للتواجد الرقمى الإلكترونى حيث تابعت جماهير الوفد فى المحافظات جميعها ما يحدث عبر المحمول لحظة بلحظة، ثم توالت الفاكسات والبرقيات للتأييد (روز اليوسف: الخميس ١٩ يناير ٢٠٠٦، ص٤)، كما استخدم الشباب أيضًا رسائل (SMS) من الصباح وتم خلق تجمعات معارضة فى الفضاء الرقمى، وأنشأ شباب الحزب حركة أطلقوا عليها "حركة بيت الأمة" باعتبارها جماعة إصلاحية شبابية. (روز اليوسف: الجمعة ١٩ يناير ٢٠٠٦، ص٥)

وبهذا لم تكن الجماهير ذات دور سلبى كامل كما أكد باريتو، حيث إن الجماهير كانت ورقة ضغط لتدعيم الدوران الثورى للنخبة، كما أضفت الشرعية على النخبة الجديدة سواء بتواجدها الفيزيقى أو المعنوى من خلال التفاعل الرقمي.

ج- السيطرة على أموال الحزب كانعكاس للتمكين:

فور تغير النخبة والرئيس ظهرت أموال الحزب فى البنوك ككارت يلوِّح به الطرفان، حيث أكد نعمان جمعة أنه رئيس الحزب وأن وضعهم غير قانونى، فأموال الحزب مازالت فى يدي، والتعامل مع البنوك فى يدي. (الأهرام: الجمعة ٢٠ يناير ٢٠٠٦، ص٢)

وفى المقابل أكد "أباظة" أنه قام صباح يوم الخميس ٢٠٠٦/١/١٩ بإخطار البنوك لوقف العمل بالتوقيع السابق، وأن العمل سيكون بالتوقيع الجديد باسمه إلى جوار أمين الصندوق، كما أكد على أن أجور صحفيى الجريدة سيتم دفعها، حتى فى حال حدوث مشاكل بناء على تغير التوقيع. (روز اليوسف: الجمعة ٢٠ يناير ٢٠٠٦ن ص٤)

وهكذا فقد ظهر أن السيطرة على أموال الحزب فى البنوك هى مؤشر قوى على امتلاك زمام القوة تلوِّح به كل جماعة نخبوية، كما تتخذ من الإجراءات القانونية ما يمكنها من التمكين الكامل على مقاليد الأمور.

د- السلطة الحاكمة وآليات الضغط:

حاولت السلطة الحاكمة بأجهزتها التنفيذية، أن تبتعد عن هذا الصراع الحزبي، حتى لا تتهم بالتدخل فى الأحزاب، فظهرت السلطة فى نمطين أولهما نمط التمثيل.

(د-١) <u>التمثيل الرمزى للسلطة:</u>

أجبرت السلطة على الظهور فى المشهد، ففى البداية ظهر الحزب محاصَرًا بقوات الأمن وقد احتشدت قوات كبيرة من الشرطة أمام المقر، قام باستدعائها د. نعمان حيث تم استدعاء ثلاث عربات أمن مركزى ومجموعة كبيرة من قيادات الشرطة بمحافظة الجيزة لحفظ الأمن. (روز اليوسف: الخميس ١٩ يناير ٢٠٠٦، ص٥)

وإن كان هذا التدخل شكليًا فقط، إلا أن الهدف غير المعلن من النخبة التى تمسكت بالبقاء فى داخل مقر الحزب هو إرهاب الجماهير وشباب الأقاليم ومنعهم من التوافد حول مقر الحزب، كما ذكر قادة الحزب ونخبة "المجددون". أيضًا ظهر الأمن لحماية نخبة المحافظين عندما قرروا الخروج خارج الحزب، فخرجوا فى حماية أجهزة الشرطة. وقد كان هناك علاقة مع السلطة غير هذا الشكل الرمزى وهنا ظهر التمثيل الواقعى الفعلى للسلطة.

(د-٢) <u>التمثيل الفعلى للسلطة:</u>

إن الدولة بأجهزتها لم تتدخل فى هذا الصراع النخبوى، واقتصر الأمر على هذا الشكل الرمزى للظهور، وقد أكد ذلك أحد أعضاء نخبة "الثعالب" أو "المجددون" حيث أشار إلى أن الدولة لم تتدخل فى هذا الأمر من قريب أو بعيد؛ لأن الصورة السيئة التى أدار رئيس الحزب السابق بها هى التى أدت لذلك. (روز اليوسف: الجمعة ٢٠ يناير ٢٠٠٦، ص٤) إلا أنه كان هناك بعض المحاولات للتواصل مع بعض رموز السلطة الحاكمة من النخبة المحافظة (الأسود) لتدعيم ثبات النخبة ومنع هذا الدوران النخبوى الثوري، والتى تم الإشارة لها كالتالى: "إن رئيس الحزب السابق يحاول خلق "لوبي" فى أروقة الدولة لمساندته، ويبذل مجهودًا فى طرح منظومة من المبررات والذرائع لتدعيم موقفه، خاصة أنه من ناحية المضبوطية القانونية فإن قرار الهيئة شرعى ومشروع، ولا معنى لرئيس لجنة الأحزاب بأن يحاول منع المواقف لمنح نفسه فرصًا للمساومة ومساندة من يريد". (روز اليوسف: الجمعة ٢٠ يناير ٢٠٠٦، ص٣)

وقد أرسل رئيس الحزب السابق خطابين: أحدهما إلى رئيس مجلس الشعب، والآخر لرئيس مجلس الشورى يفيدان الإطاحة بمجهود أباظة عن رئاسة الهيئة" البرلمانية الوفدية لمجلس الشعب، وتعيين أحمد ناصر المحامى بدلاً منه، وكذلك الإطاحة بمحمد سرحان من رئاسة الهيئة الوفدية بالشورى وتعيين فهمى ناشد بدلاً منه. (المساء: الجمعة ٢٠ يناير ٢٠٠٦، ص١)، وقد بدأت لجنة شئون الأحزاب اجتماعها يوم السبت ٢١ يناير بمناقشة ملف الأزمة الشائكة داخل حزب الوفد، وذلك بعقد اجتماع عاجل لبحث جميع المذكرات والأوراق والوثائق التى وردت إلى اللجنة بشأن الخلافات القائمة داخل حزب الوفد والتى يعيشها كل من طرفى الصراع. (الأهرام المسائي: الجمعة ٢٠ يناير ٢٠٠٦، ص٨)

حيث قام الرئيس المؤقت للحزب بإرسال مذكرة للجنة شئون الأحزاب لإخطاره رسميًا بالقرارات التى انتهت إليها الهيئة العليا فى ١٨ يناير بمقر الوفد، وبالمبررات القانونية لهذه القرارات من خلال اللائحة. (الوفد: السبت ٢١ يناير ٢٠٠٦، ص١)

وهنا حاولت الجماعتان المتصارعتان إقحام السلطة المتمثلة فى لجنة شئون الأحزاب، وذلك لإضفاء الشكل القانونى على الدوران الثورى للنخبة جماعة "المجددون" أو لإيقاف الدوران النخبوى الثورى جماعة "المحافظون"، وإن كانت هذه الاتصالات اتخذت شكلاً رسميًا ظاهرًا. فإن أعضاء النخبة كان لاتصالهم بالسلطة الحاكمة شكل غير رسمى وغير ظاهر، وذلك كمحاولة لإنهاء الصراع بهدوء وبلا تدخلات من الدولة. فإن الشكل غير الرسمى ظهر داخل أروقة حزب الوفد من خلال محاولات رأب

الصدع بالحزب، فحاول زوج ابنة الرئيس المعزول (وهو عضو لجنة السياسات بالحكومة) أن يلتقى رئيس الحزب بالإنابة، ولكن باءت المحاولات بالفشل (الشرق الأوسط: الجمعة ٢٠ يناير ٢٠٠٦، ص١) حتى أنه عرض على رئيس الحزب السابق أن يصبح رئيسًا شرفيًا للحزب، أو أن يقدم استقالته بدلاً من الإقالة، ولكنه رفض بشدة معلنًا فى كل المحاولات أنه الرئيس الشرعى ولا يعترف بهذا الانقلاب. ويلاحظ هنا أن تدخلات السلطة لم تكن بالقوة التى تظهر بها فى صراعات أخرى وأحزاب أخرى، ربما لأن طرفى الصراع أو النخبتين من المجددين والمحافظين على علاقات مقبولة مع السلطة الحاكمة، لذا فقد بدا الأمر وكأن هناك محاولات لإقحام السلطة، وكانت السلطة وسيطًا وليست طرفًا داخل الصراع النخبوي، فلم تلعب كآلية ضغط كما كان متوقعًا بل استخدمها أعضاء النخبة خاصة الجديدة لتأكيد القانونية والشرعية.

هـ- المحايدون (النخبة الوسيطة):

بالقطع لم تنقسم نخبة الحزب إلى مجددين ومحافظين فقط، بل كان هناك أولئك الذين يقفون موقفًا محايدًا ولا يريدون الانخراط فى هذا الصراع النخبوى وإن كان عددهم صغيرًا، فعلى سبيل المثال ظهر فى البداية أمين الصندوق كوسيط أو (Mediatior Elite) نخبة وسيطة، وحاول أن يعرض على رئيس الحزب السابق أن يخرج فى هدوء على أن يكون رئيسًا شرفيًا للحزب. كما ظهر حفيد سراج الدين مؤسس حزب الوفد الجديد فى موقف غير واضح فى بداية الدوران الثورى للنخبة معربًا عن خوفه من تجميد الحزب. كما التزم بعض النواب مثل نائب بورسعيد فى مجلس الشعب الصمت محاولاً الوصول إلى حل سياسى وسط فى الأزمة التى اعتبرها البعض لا تحتمل أنصاف الحلول. (روز اليوسف: الجمعة ٢٠ يناير ٢٠٠٦، ص٤)

كذلك لم يظهر النخبة الوسيطة من داخل الحزب فقط بل تدخل عدد من رؤساء الأحزاب المعارضة فى محاولة لتهدئة الصراع بين جبهتى الصراع، مثل رئيس حزب التكامل ورئيس حزب مصر وحزب الخضر وغيرهم. (الأهرام المسائي: الجمعة ٢٠ يناير ٢٠٠٦، ص٨)

ورغم وجود أولئك الوسطاء ومحاولات السلطة الحياد، إلا أن موقف دوران النخبة الثورى الذى قامت به نخبة "المجددون" كان أكبر من أن يكون صراعًا أو خلافًا حزبيًا بسيطًا، حيث إن النخبة الجديدة امتلكت المقومات التى استندت بها لإحداث هذا التغيير الثورى ومنع دائرة النخبة من خلال الانغلاق على ذاتها، ولم تكن جماهير الحزب ذات قوة صفرية كما أشار باريتو بل لعبت كورقة ضغط استخدمها أعضاء نخبة "المجددون" لتدعيم وضعهم، حيث خرج الرئيس السابق من مقر الحزب بعد اعتصام دام أكثر من ٣٣ ساعة بسبب هذا الضغط أو التوافد الجماهيرى الذى كان مزيجًا من الجماهير الصامتة بلا حراك ومن الشباب الثورى.

وهنا خرج الصراع النخبوى إلى أروقة المحاكم ولكن ظلت النخبة الجديدة هى المتواجدة بالحزب لامتلاكها العديد من آليات السيطرة كالجريدة وجماهير الحزب، وكذلك أموال الحزب، ولم يتبقَّ لإحكام السيطرة وتأكيد الدوران الثورى للنخبة إلا الإعلان القانوني، والذى ما إن صدر حتى أدخل هذا الصراعَ النخبوى مرحلة مختلفة من الصراع النخبوي.

المرحلة الثالثة: الدوران النخبوى ما بين العنف والشرعية:

فى المرحلة السابقة وصلت النخبة الحزبية الجديدة لمرحلة هدوء نسبى، وانتخبت رئيسًا مؤقتًا للحزب من خلال الهيئة الوفدية فى فبراير ٢٠٠٦، وبذلك تم إحكام السيطرة. ولكن فى تطور سريع ومفاجئ لأزمة النزاع النخبوى صدر حكم قضائى برفض الطعن المقدم من رئيس الحزب بالإنابة، وبضرورة تمكين رئيس الحزب المعزول من مقر الحزب ومزاولة عمله بداخله، وهنا تغير الوضع تمامًا داخل مقر الحزب وتحول الصراع من دورة جديدة للنخبة تبحث عن الشرعية المنشودة، إلى عنف دموى، لتخرج الصحف يوم ٢ أبريل ٢٠٠٦ محملة بعناوين دامية مثل:

- مجزرة الدقى استمرت ٩ ساعات.. والأمن يرفض التدخل (الوفد: الأحد ٢ أبريل، ص١)
- مذبحة الوفد ... لحظة بلحظة (المساء: الأحد ٢ أبريل ٢٠٠٦، ص٣)
- نيرون يحرق الوفد (روز اليوسف: الأحد ٢ أبريل ٢٠٠٦، ص١)
- أحداث دامية فى حزب الوفد (الأهرام: الأحد ٢ أبريل ٢٠٠٦، ص١)

فى هذه المرحلة استخدم الرئيس السابق وجماعته منطق القوة المفرطة للعودة إلى موقع النخبة مرة أخرى، ولكن عن طريق السلاح ومنطق القوة، حيث وصل أحد جماعة الرئيس السابق وعضو مجلس الشعب وبصحبته ابنه إلى مقر الحزب فى حوالى الساعة الثامنة صباحًا وبصحبتهما مجموعة كبيرة من الرجال المدججين بالأسلحة، وقبل ذهابه إلى مقر الحزب توجه إلى قسم الدقى (لإثبات حالة) وأقر أنه سيذهب لتنفيذ قرار النائب العام بتمكين د. نعمان من مقر الحزب وممارسة مهامه. وبالفعل دخلوا إلى المقر

ثم بدأ الصحفيون فى التوافد على مقر الجريدة للعمل ومُنعوا من الدخول، واحتشد صحفيو الوفد وأنصار أباظة خارج الحزب محاولين الدخول ولكنهم فوجئوا باستخدام طلقات نارية من داخل الحزب فى الساعة الثانية عشر ظهرًا، وأصيب عدد من الصحفيين، وحاول أنصار النخبة الجديدة الدخول إلى الحزب من الخلف والقفز على الأسوار ومعهم زجاجات مولوتوف للسيطرة على الحزب ودخوله، واستطاعوا فعلاً الدخول للحزب مساءً.

برر الرئيس المعزول ما فعله بقوله "ذهبت إلى مقر ممارسة عملى كرئيس للحزب". كما يبرر عضو آخر من جماعته ما حدث بقوله "هدفنا استعادة المقر بالقانون.. وابنى دافع عنى حتى لا أتعرض للقتل". (المساء: الأحد ٢ أبريل، ص٣)، وفى هذه المرحلة لم يحاول أن يتدخل أى من النخبة المجددة بشكل مباشر، بل استخدموا منطق العقل فأعلنوا عن انعقاد للهيئة العليا للوفد اجتماعًا برئاسة المستشار مصطفى الطويل رئيس الوفد فى المرحلة الانتقالية لمناقشة الأحداث وإعمال العقل والمنطق أمام القوة. (الوفد: الأحد ٢ أبريل ٢٠٠٦، ص١)

وقد كانت حصيلة الأحداث ٢٣ مصابًا فى معركة بالرصاص انتهت بأمر النائب العام بالقبض على رئيس الحزب المعزول وأحمد ناصر ونجله و ٦٠ بلطجيًا، ونقلهم إلى نيابة شمال الجيزة، وخرجوا بالفعل من الحزب فى عربة مصفَّحة تابعة لمديرية أمن الجيزة. (الأهرام: الأحد ٢ أبريل ٢٠٠٦، ص١) والاستخدام المفرط للقوة كان نهاية للنخبة السابقة، ففشل منطق القوة أمام العقل والدهاء، حيث تحول الوضع إلى حدث عالمى وقد اتصلت النخبة الجديدة بواشنطن بوست وشيكاغو و BBC أى تدخلت الوسائط العالمية، كما شكل المستشار مصطفى الطويل الذى اختارته الهيئة الوفدية رئيسًا للحزب فى المرحلة الانتقالية فى فترة الهدوء السابقة لجانًا لمتابعة الأمر ومتابعة حالة المصابين. وامتلأت جريدة الوفد بعبارات التضامن الدولى والعربى خاصة مع صحفيى الوفد، بل قدم نقيب الصحفيين بلاغًا ضد الرئيس السابق ومن معه، كما تصدرت أحداث الوفد مناقشات مجلس الشعب، وعقدت لجنة شئون الأحزاب اجتماعًا لمناقشة الأحداث، واعتبر الوفديون أن ما حدث هو نهاية اختارها الرئيس السابق للحزب لنفسه. (الوفد: الاثنين ٣ أبريل ٢٠٠٦، ص١)، ويبدو أن هذا الوضع المأزوم الذى حدث بسبب حكم قضائى لم ينتهِ فى الحزب إلا بقرار من لجنة شئون الأحزاب بمجلس الشورى على تولى المستشار مصطفى الطويل رئاسة حزب الوفد، امتثالاً لقرار الجمعية العمومية للحزب التى عُقدت فى شهر فبراير ٢٠٠٦. (الأهرام: الثلاثاء ٤أبريل، ص١)، وكان هذا القرار مصدرًا من مصادر الإلزام والشرعية للنخبة الجديدة فى الحزب، ولكن لتدعيم هذه الشرعية والانتهاء من هذه الحلقة من دوران النخبة الثورى والذى انتقل من البحث عن الشرعية إلى العنف.

تدعمت هذه الشرعية مرة أخرى فى انتخابات رئيس الحزب الجديد وهو قائد نخبة "المجددون" محمود أباظة فى جمعية عمومية عقدت فى ٢ يونيو ٢٠٠٦، وإن ظلت أروقة المحاكم تُتداول بها طعون من رئيس الوفد الأسبق حول قرار فصله، وظلت تتداول القضية حتى ٢٧ أغسطس ٢٠٠٨ حتى انتهى النزاع القضائى بحكم محكمة استئناف القاهرة بصحة القرارات الصادرة عن الجمعيات العمومية بالحزب، أى ظل النزاع فى القضاء ٣٠ شهرًا كاملاً (الوفد: ٢٩ أغسطس ٢٠٠٨، ص١)، وكان هناك تأخر واضح وتأجيل غير مبرر للقضية فى القضاء رغم حسم الأمر داخليًا، وتمكين النخبة الجديدة التى قامت بالدوران الثورى للنخبة.

وبالقطع هذه بعض التغيرات المعاصرة والمجتمعية التى يمكن أن تطرأ على تفسير دوران النخبة فى ضوء التفسير النظرى الكلاسيكى لباريتو، كما سنوضح لاحقًا، وفى النهاية نضع شكلاً يلخص المراحل الثلاث لدوران النخبة الثورى.

ثامنًا: مناقشة ختامية لنتائج البحث:

• أظهر البحث الميدانى أن صعوبة تطبيق نظرية دوران النخبة لباريتو، لا تتعلق فقط بالخصوصية التاريخية للنظرية، بل إن الخصوصية المجتمعية للنخبة العربية قد تمثل أحيانًا إشكالية جديدة فى الواقع الميداني، حيث أظهر البحث تعاظم دور القائد

مراحل دوران الخبة الثورى

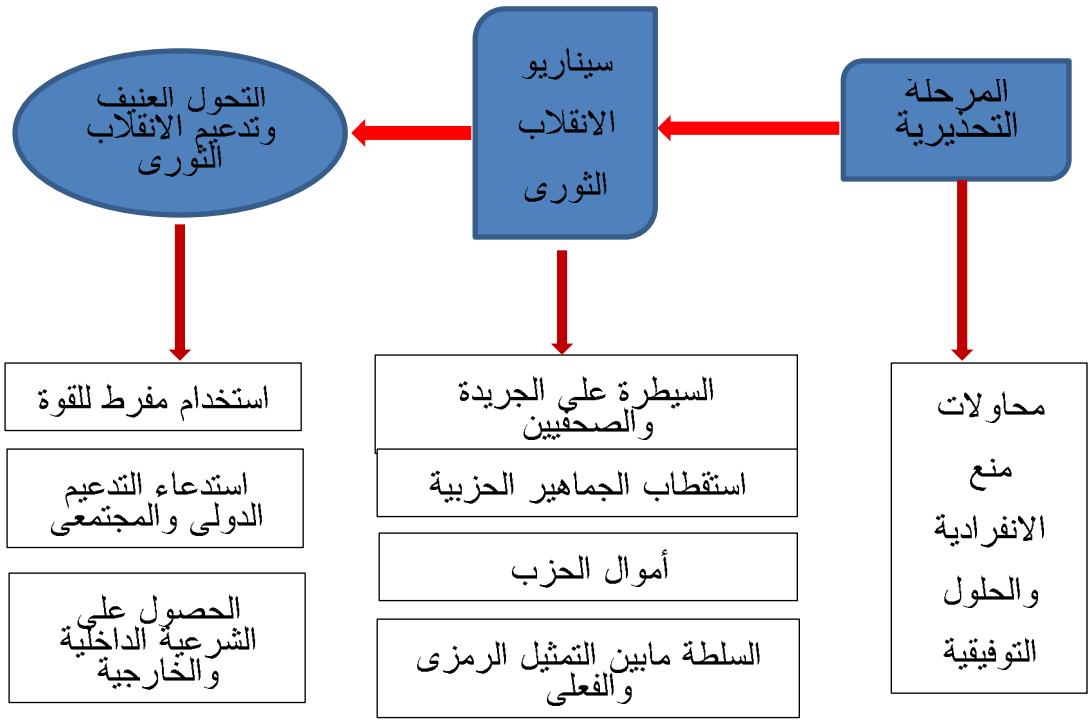

السياسى فى تأسيس النخبة والحفاظ عليها، ومن ثم صعودها أو اضمحلالها، فكل جماعة نخبوية كانت طرفًا فى هذا الصراع حول دوران النخبة، تمحورت ودرات فى فلك قائدها، خاصة النخبة القديمة التى كانت تدور فى فلك رئيس الحزب السابق، فكل المحاولات للنكوص عن هذا الانقلاب والعودة كان محورها الرئيس المعزول. كذلك أظهر البحث انعكاس سمات النخب العربية على النخبة الحزبية حيث إن هناك صعوبة فى تفسير دوران النخبة العربية فى ظل تغير واضح وغير مفهوم فى التحالفات والانتماءات السياسية، فالنخبة الجديدة كانت جزءًا أصيلاً من النخبة القديمة ولكن لتعاظم دور الرئيس وانفراديته بالسلطة انقلبت عليه، وتحولت هى ذاتها لنخبة "المجددون" أو (Men of Imagination) والتى قامت بالدوران النخبوى الثورى، كما كان من صعوبات تفسير الدوران النخبوى سعى النخب فى المجتمع العربى دائمًا للاستمرار فى السلطة ومحاولات إغلاق دائرة النخبة، وهو الأمر الذى دفع النخبة الجديدة للدوران الثورى لفشل التغير الهادئ التدريجى.

• إن الانطلاق التفسيرى من أفكار باريتو النظرية حول دوران النخبة ليس لاختبار مدى صحتها كما أوضحنا من قبل، ولكن اعتمدنا عليها لإبراز إمكانية الاستفادة من النظريات الكلاسيكية فى تفسير بعض أحداث السياسة المعاصرة، وبالفعل أثبت الواقع أن هناك بعضًا من الأفكار الكلاسيكية النظرية مازالت ملائمة للاستعمال والمناقشة، مع وضعنا فى الاعتبار التغيرات التاريخية الزمنية والمجتمعية لتفسير السياسة المعاصرة، وإن كان الكثير من جوانب نموذج باريتو النظرى لدوران النخبة لم يتحقق فى الميدان الامبريقى كما أوضحنا، إلا أنه هناك بعض من عناصر نموذجه النظرى ظهرت خلال البحث الميدانى مثل فكرة الدوران النخبوى الثورى عند زيادة محاولات إغلاق النخبة وتصعيد من لا يملكون مقومات الصفوة، وكذلك تشكّل النخبة من أفراد ذوى سمات سيكولوجية مختلفة مع التأكيد على وجود متغيرات أكثر أهمية للتفسير، ومؤثرات أكثر معاصرة لإحداث هذا الدوران الثورى، ومن هذه المتغيرات ظهور تأثير السلطة السياسية والعوامل الاقتصادية كالسيطرة على المال، وكذلك الدور الإيجابى للجماهير والذى سنتحدث عنه. ومن التغيرات المعاصرة أيضًا التى خلصت هذه الورقة البحثية إليها أن الانقلاب الثورى أو الدوران الثورى للنخبة لم يحدث مرة واحدة، بل حدث على ثلاث مراحل مختلفة، لتتلاءم مع الظرف الحداثي المعاصر، وهذه المراحل هي:

١) المرحلة التحذيرية: وما تخللها من محاولات للتوافق وإحداث دوران انسيابى هادئ للنخبة.
٢) مرحلة الانقلاب النخبوى وسيناريو الدوران الثورى: وفى هذه المرحلة تم عزل الرئيس السابق وجماعته، وتخلل تلك المرحلة العديد من المؤثرات ومحاولات السيطرة والتمكين من خلال السيطرة على الجريدة، ودور جماهير الحزب من خلال التواجد الفيزيقى أو الرقمى، وكذلك السيطرة على أموال الحزب، ومحاولات الضغط من خلال السلطة الحاكمة.
٣) مرحلة الدوران النخبوى ما بين العنف والشرعية: وفى هذه المرحلة كانت المحاولات الأخيرة لإعادة الوضع إلى سابقه، وذلك لتمسك النخبة السابقة بالحكم والسيطرة كسمة من سمات نخب الوطن العربى، وفى هذه المرحلة كان هناك استخدام مفرط للقوة، ولم تنته الأزمة إلا بالتدخل القانونى سواء من السلطة الحاكمة أو على المستوى الحزبى.

وبهذا يمكن أن نتفق مع نتائج دراسة (Shafer) عن أفكار باريتو بأن مفهوم دوران النخبة يجب علينا عند استخدامه أن ندرك أنه يجب إعادته لتفاصيل حقبته الزمنية، ولا نأخذ من الأفكار تعميمات نظرية نطبقها كما هي، حيث إن هذه النظرة لا تتلاءم مع السياسة المعاصرة.

- أظهرت نتائج هذه الورقة البحثية اتساقًا مع نتائج بعض الدراسات السابقة مثل عدم استقلالية مكونات المجتمع المدنى عن السلطة فى المجتمعات العربية، فبعض الصراعات التى تفاقمت كانت بسبب تدخلات من السلطة رغم محاولاتها الابتعاد نسبيًا عن الصراع النخبوى الحزبى. كما اتفقت نتائج هذه الورقة البحثية مع نتائج إحدى الدراسات التى أشارت لانقسام النخبة العربية على ذاتها، وهو الأمر الذى حدث بشكل جلى داخل النخبة الحزبية بل كان دافعًا للدوران الثورى للنخبة.
- خلص البحث إلى تعاظم دور الماكينة الإعلامية المتمثلة فى الجريدة فى تدعيم الدوران النخبوى الثورى، حيث إن السيطرة على الجريدة كانت هدفًا للنخبة سواء القديمة أو الجديدة، ومن يمتلك الجريدة يمتلك الحزب، وكأنها "عاصمة الحزب" كما أطلقت الدراسة عليها. كما ظهر أن أداء الجريدة يختلف باختلاف النخبة المسيطرة، وقد اتفق ذلك مع نتيجة إحدى الدراسات التى خلصت إلى أن النخب السياسية هى الفاعل الرئيسى فى توجيه مضامين الصحف. (محمد هشام عبد المقصود، ١٩٩٨) حيث إن الجريدة لعبت دورًا محوريًا فى تدعيم أركان النخبة الجديدة والوصول إلى جماهير الحزب وتعبئة تحيزاتهم.
- إن إيغال باريتو فى تأثير العوامل النفسية أثر على الكثير من تحليلاته ليجانبها الصواب، فعلى سبيل المثال هاجم باريتو الصفوة التى تنزع إلى الإنسانية واللين، واعتبر أن ذلك من عوامل ضعف النخبة وانحلالها، وأنه لا مجال للعاطفة، وأن النخبة يجب أن تكون (Tough minded)، ولكن ذلك لم يتحقق على صعيد الواقع فالقسوة المفرطة أدت إلى الانفرادية والانقلاب على النخبة المقربة، فلم يكن اللجوء للإنسانية هو السبب للثورة بل القوة ومحاولات السيطرة المفرطة. ظهرت بعض الأفعال للنخبة لا منطقية ولا عقلانية (Non- logical action) وإن حاول أن يفرض الأفراد عليها تفسيرات منطقية، وهذه الأفعال اللامنطقية مثل فصل عضو من الهيئة العليا وبعض الصحفيين أو تصعيد أعضاء للهيئة الوفدية وفصل آخرين بلا مبرر منطقي، وكذلك الاستخدام المفرط للقوة والذى وصل لاستخدام السلاح. وكانت التفسيرات لهذه الأفعال اللامنطقية تحاول أن تضعها فى نطاق المنطق مثل الدفاع عن الحق واستمرار ممارسة العمل، وهى تفسيرات سيكولوجية لفعل لاعقلاني، ومن المؤكد أن الدوافع له غير الدوافع المعلنة، أى ربما كانت هناك رواسب (Residues) كامنة باستخدام منظور باريتو مثل الرغبة فى السيطرة والتصلب والتمسك بالسلطة وحب القوة، أى راسب استمرار الجماعات الذى يدفع الفرد للميل للقوة واعتبار نفسه من الأقوياء (Consolidators)، وعدم الرغبة فى التغير، وبالقطع لا يمكننا أن نقصر التفسير فى هذا الجانب السيكولوجي، فقد أظهر البحث عوامل اجتماعية عديدة تدفع للميل للتمسك بالسلطة، مثل خصائص النخب العربية وعدم وجود ثقافة دوران النخبة، وتعاظم دور الرئيس والذى انعكس فى عيوب لائحية أعطت للرئيس سلطات مطلقة، وإن كانت تلك السلطات ارتبطت بسياق تاريخى سابق، فقد أُعطيت للرئيس السابق ذى السلطة الأبوية الكاريزمية، ولم تُعط للرئيس التالى له، ولذا حدثت المناوءات ومن ثم الثورة عليه وعلى من دعمه من أعضاء النخبة.
- تضمن السياق الذى عملت به النخب المتصارعة مؤثرات خارجية عديدة، ولم تقتصر بالطبع أسباب الدوران النخبوى الثورى على العوامل النفسية فقد كان هناك تأثير واضح للإعلام ودور الجريدة كما أوضحنا فى تعبئة التحيز، وكذلك كان هناك دور بارز وواضح للجماهير، كما كان لتدخلات السلطة تأثير فى بعض المواقف التى تأجج بها الخلاف ووصل لدرجة العنف الدموى ليتم إيقافه بتدخل أيضًا من السلطة الحاكمة فى النهاية.
- لعبت التكنولوجيا الرقمية دورًا مؤثرًا فى هذا الدوران النخبوى حيث جاءت رسائل SMS لتدعيم النخبة المجددة أو الإصلاحية من لجان الحزب المختلفة فور الثورة، كداعم أساسى للنخبة الجديدة، كما تم استدعاء الجماهير من خلال وسائل الاتصال

الحديثة، كذلك قام الشباب بتأسيس جماعات على الهواتف لتدعيم الدوران الثورى للنخبة، كما كانت كوادر الحزب المختلفة على تواصل دائم ومستمر بكل الأطراف، مما أدى لسرعة الأداء، وكذلك توافد الجماهير، وهو الأمر الذى لا يمكن لأى تفسير نظرى حديث أن يتجاهله، حيث كان التواجد الرقمى الإلكترونى أمرًا فعّالاً فى هذا الحدث الثورى.

- تجلى وجود نخبة من المجددين (Innovators) والتى أطلقت على ذاتها الإصلاحيين، وقد ظهرت تلك الصفوة من داخل الصفوة الحاكمة ذاتها لا من خارجها، بل كانت هى الصفوة التى ساهمت فى صعود الرئيس السابق إلى دائرة النخبة، ولكن عندما حاول الرئيس السابق تدعيم سيطرته على حساب النخبة التى صعدته، فإن هذه النخبة ربما تحركت لديها رواسب التكامل والترابط، حيث استخدمت المكر والدهاء والمساومة ومحاولة الوصول إلى حلول توفيقية فى البدء لإجبار الرئيس المعزول على السماح بالدوران الانسيابى للنخبة وتقليص السيطرة اللائحية، ولكن حينما فشلت المحاولات التوفيقية قام الـ (Innovators) بالدوران النخبوى الثورى من خلال استغلال بنود اللائحة، كما استخدموا عددًا من آليات للتمكين بشكل هادئ مثل السيطرة على الجريدة لسان حال الحزب ووسيلة التواصل مع الجماهير الحزبية، والتواصل المستمر مع الجماهير الحزبية لتحقيق درجة من الرضا العام لتدعيم السيطرة.
- إن الانقلاب الثورى لنخبة الحزب لم يحدث كما قال باريتو لوجود نخبة شديدة التجانس، بل على النقيض من ذلك حدث عندما ارتفعت درجة عدم التجانس، ففى البدء رغم أن تركيب النخبة بدا ظاهريًا متجانسًا ومتناغمًا، إلا أنه بعد فترة بدت النخبة أكثر انشطارًا وغير متجانسة، حيث انفصل الرئيس السابق بعدد محدود جدًا من أعضاء الهيئة العليا مبتعدًا عن جماعته الأصلية، وهنا أضحى عدم التجانس هو واقع النخبة الحاكمة، ولكنه كان دافعًا ومحركًا للانقلاب الثورى للنخبة والتى انشطرت إلى ثلاث مجموعات نخبوية: نخبة "المحافظون"، ونخبة "المجددون"، ونخبة "المحايدون"، والتى انتهت بهبوط نخبة "المحافظون" ومستخدمى القوة (الأسود) خارج دائرة النخبة والحزب أيضًا، وهنا كان الانتقال من التجانس الظاهرى إلى اللا تجانس هو نقطة التحول والدوران النخبوى الثورى.
- إن أكثر الانتقادات التى وجهت لمنظرى الصفوة خاصة باريتو حِدّةً – هو رؤيتهم للجماهير ذات قوة صفرية، فباريتو رأى أن تاريخ تغير المجتمعات هو تاريخ تغير النخبة، وأعادت هذه الورقة البحثية التأكيد على دور الجماهير أو اللاصفوة Non Elite أو الشريحة الدنيا lower startum التى أشار لها باريتو، فلم تكن هذه الشريحة ذات قوة صفرية أو سلبية، فربما كانت النخبة هى المحرك للجماهير، ولكن جماهير الحزب بتواجدها الفيزيقى والرقمى كانت آلية ضغط عملت على تدعيم الدوران الثورى، بل وأعطت الشرعية للنخبة الجديدة، فظهر مفهوم غاندى عن "الأحسا" أو العنف الإيجابى. (خيرى حماد: ٢٠٠٢، الأمير: ص ٣١٣)، وكانت الجماهير الساكنة بلا حراك ولا روابط جمعية أو اللاحركة Non movements، كما أشار أصف بيات (أصف بيات: ٢٠١٤، ص١٦) مؤثرًا ومحركًا للدوران النخبوى الثورى وشرعنة النخبة الجديدة، ولم تظهر جماهير الحزب كعوامل للثبات وجمود المجتمع، بل لإحداث التغير والحركة، ولم يكن هبوط نخبة المحافظين أو Mens of power وصعود المجددين ليتحقق إلا من خلال تفاعل النخبة والجماهير. وقد أظهر البحث تركيب الجماهير مماثلاً لتركيب النخبة، حيث كانت الجماهير الحزبية مزيجًا من مالكى القوة الذين حاولوا استخدام القوة لتدعيم السيطرة، وآخرين من مالكى الدهاء واستخدام التواجد المكانى والتكنولوجيا الحديثة لتدعيم السيطرة وتمكين النخبة الجديدة.

وأخيرًا نؤكد أن التفسيرات النظرية الكلاسيكية، ربما لا يمكن أن تصلح لتقديم مبررات كاملة للسياسة المعاصرة، لكن بالقطع يمكننا أن نطور من خلالها نماذج تحليلية ملائمة لواقع مجتمعى وزمنى مغاير، مع التأكيد على ضرورة تجنب التفسير الأحادى والحتمى، حيث إن تغير النخبة ودورانها الثورى بالحزب ظهر نتاج متغيرات عديدة منها صراع المصالح والسلطة، كما تأثر بالنخب السياسية وكذلك بالإعلام؛ وعلى هذا فالدوران النخبوى هو مزيج من متغيرات عديدة ويمكن تفسيره من خلال رؤى نظرية متعددة، ودراسات جديدة لاختبار النظريات الكلاسيكية والمعاصرة. ويمكن أن أنهى الورقة البحثية بشكل يوضح عناصر النموذج التحليلى والتفسيرى لدوران النخبة الثورى الذى خلصنا إليه فى ضوء نظرية دوران النخبة لباريتو.

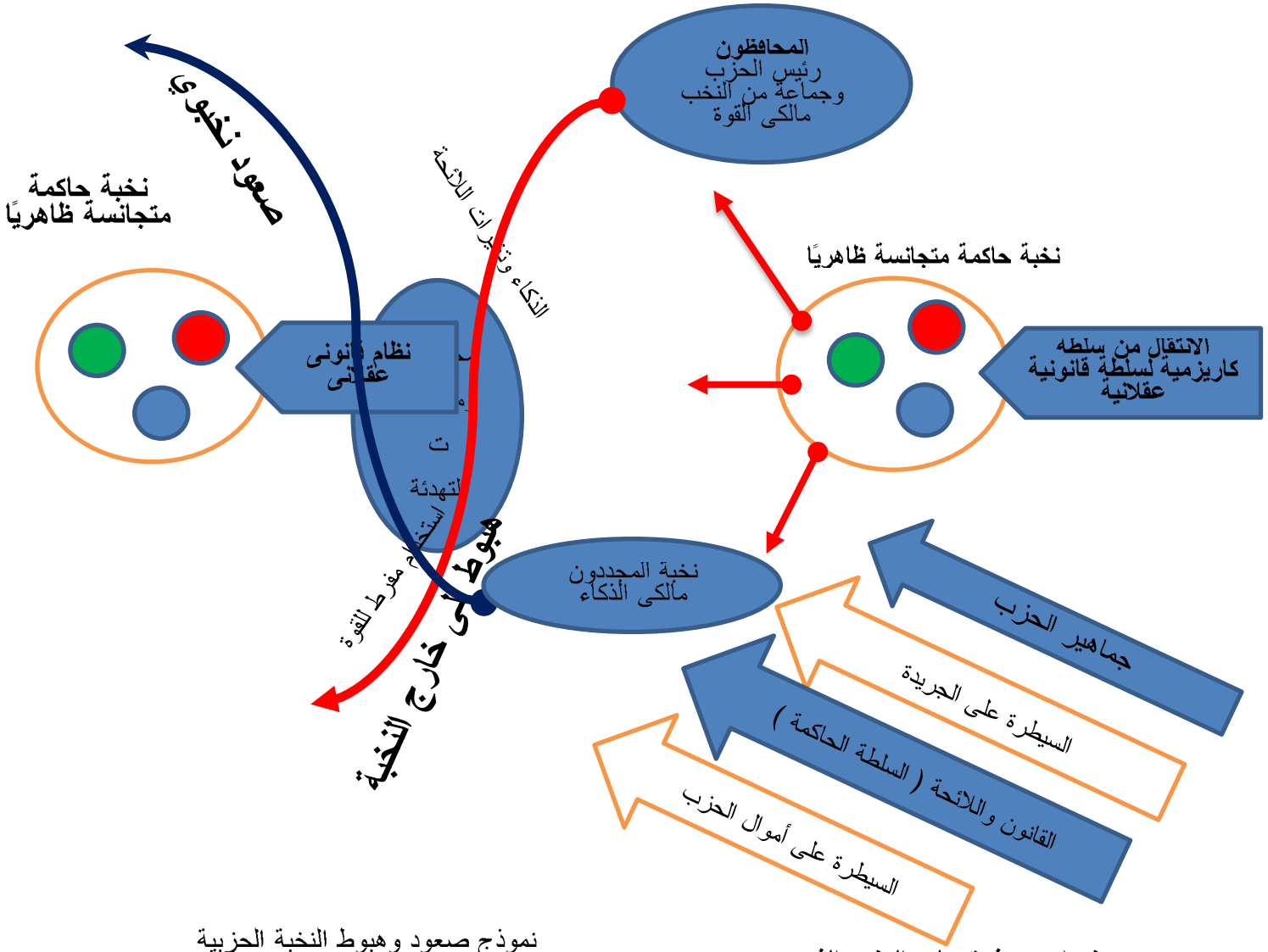

نموذج صعود وهبوط النخبة الحزبية
Rise and Fall of Party Elite Model

متغيرات مؤثرة على التغير الثورى

Abstract

Circulating of the party Elite

By Naira Alwan

This research paper is concerned with contemporary rereading of Pareto theoretical ideas especially which focused on circulation of Elite, That by studying position a situation of the elite conflict in the Wafd party (2006), that led to a change in composition within the party Elite and led to its revolutionary circulation, The study was based on collecting documentary data and many open interviews.

The study concluded that perhaps classical theories are not suitable to provide full justification for contemporary politics but it is suitable to develop through it appropriate analytical models for different society and time while assuring the need to eliminate the unilateral explanation unilateral and Deterministic explanation,

in which That the changing in the Elite and its revolutionary Circulation in the party has emerged as a product of many variables including the interests and Authority conflict, influenced by political Elites and media.

تاسعًا: قائمة المراجع:

١- أحمد زايد (٢٠٠٥): مقدمة فى علم الاجتماع السياسي، الطبعة الثانية، دار نهضة مصر، القاهرة.

٢- أحمد زايد وعروس الزبير (٢٠٠٥): النخب الاجتماعية حالة الجزائر ومصر، مكتبة مدبولى الصغير، القاهرة.

٣- الأخبار: الخميس ١٩ يناير ٢٠٠٦، الطبعة الثانية، السنة ٥٤، العدد ١٦٧٦٩.

٤- أسامة معقافى (٢٠١١): النخبة الحاكمة ومسار التحول الديمقراطى دراسة حالة تونس (١٩٨٧- ٢٠١٠)، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر.

٥- أصف بيات (٢٠١٤): الحياة السياسية كيف يغير بسطاء الناس الشرق الأوسط، ترجمة أحمد زايد، الطبعة الأولى المركز القومى للترجمة، القاهرة.

٦- أمل جمال حسن عبد العظيم (٢٠١٧): استخدامات الصفوة السياسية المصرية لشبكات التواصل الاجتماعي: الفيس بوك- تويتر، أطروحة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الإعلام، قسم الإذاعة والتليفزيون.

٧- أمل حسن أحمد حسن (٢٠٠٣): الأصول الاجتماعية لنخبة الأحزاب السياسية وموقفها من القضايا الاجتماعية (دراسة مقارنة بين الحزب الوطنى وحزب التجمع)، أطروحة ماجستير، قسم اجتماع، كلية الآداب، جامعة القاهرة.

٨- الأهرام المسائي: الجمعة ٢٠ يناير ٢٠٠٦، الطبعة الأولى، السنة ١٦، العدد ٥٣٨١.

٩- الأهرام: الأحد ٢ أبريل ٢٠٠٦، السنة ١٣٠، العدد ٤٣٥٨١.

١٠- الأهرام: الثلاثاء ٤ أبريل ٢٠٠٦، الطبعة الثانية، السنة ١٣٠، العدد ٤٣٥٨٣.

١١- الأهرام: الجمعة ٢٠ يناير ٢٠٠٦، السنة ١٣٠، العدد ٤٣٥٠٩.

١٢- الأهرام: الخميس ١٩ يناير ٢٠٠٦، الطبعة الثانية، السنة ١٣٠- العدد ٤٣٥٠٨.

١٣- ثائر جمال على ضميزة (٢٠١٦): النخبة السياسية الفلسطينية وصنع القرار: دراسة لأعضاء مجلس الوزراء لفترة ٢٠٠٦- ٢٠١٣، أطروحة ماجستير، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة.

١٤- جميل حمداوى (٢٠١٥): سوسيولوجيا النخب (النخبة المغربية أنموذجًا)، الطبعة الأولى، الألوكة للنشر.

١٥- دليل الوفد (١٩٩٢): معهد الدراسات السياسية، حزب الوفد، دار الغدا العربي، القاهرة.

١٦- دليل الوفد (مارس ١٩٩٩): حزب الوفد، الطبعة الثانية، معهد الدراسات السياسية، جهاز الإعداد والنشر، القاهرة.

١٧- ديفيد هيلد (٢٠٠٦): نماذج الديمقراطية، ت فاضل حتكر، الطبعة الأولى، معهد الدراسات الاستراتيجية، بغداد، بيروت.

١٨- روز اليوسف: الأحد ٢ أبريل ٢٠٠٦، العدد ١٩٨.

١٩- روز اليوسف: الجمعة ٢٠ يناير ٢٠٠٦، العدد ١٣٧.

٢٠- روز اليوسف: الخميس ١٩ يناير ٢٠٠٦، العدد ١٣٦.

٢١- الشرق الأوسط: الجمعة، ٢٠ يناير ٢٠٠٦، العدد ٩٩١٥.

٢٢- عبد الله كبار (٢٠١٣): النخبة الجامعية والمجتمع المدنى فى الجزائر، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد ١١، الجزائر.

٢٣- على سلامة (١٩٧٨): تأسيس حزب الوفد الجديد، منشورات الوفد، القاهرة.

٢٤- محمد هشام عطية عبد المقصود (١٩٩٨): علاقة النخب السياسية وتأثيرها فى أنماط الأداء الصحفى فى التسعينيات، أطروحة دكتوراه، قسم الصحافة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة.

٢٥- المساء: الأحد ٢ أبريل ٢٠٠٦، الطبعة الثانية، السنة ٥٠، العدد ١٧٨٦٩.

٢٦- المساء: الجمعة ٢٠ يناير ٢٠٠٦، السنة ٥٠، العدد ١٧٧٩٧.

٢٧- المصرى اليوم: الجمعة ٢٠ يناير ٢٠٠٦، السنة الثانية، الطبعة الثانية، السنة ٥٤، العدد ٥٨٦.

٢٨- المصرى اليوم: الخميس ١٩ يناير ٢٠٠٦، السنة الثانية، العدد ٥٨٥.

٢٩- نصر محمد عارف (١٩٩٦): نظرية النخبة ودراسة النظم السياسية العربية (الإمكانات والإشكالات)، المؤتمر الثالث للباحثين الشباب، (٢٠ مارس ٢٠١٠) bohth.blogspod.com.

٣٠- نهضة مصر: الخميس- الجمعة ١٩-٢٠ يناير ٢٠٠٦، السنة الثالثة، العدد ٥٥١.

٣١- نيرة علوان (٢٠١٧): بناء القوة فى التنظيم الحزبي، دراسة اجتماعية لديناميات صناعة القرار فى حزب الوفد الجديد، نور للنشر، الطبعة الأولى، دبي.

٣٢- نيقولو مكيافللى (٢٠٠٢): الأمير، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الرابعة والعشرون، بيروت، لبنان.

٣٣- الوفد: الاثنين ٣ أبريل ٢٠٠٦، الطبعة الثانية، السنة ٢٠، العدد ٥٩٥٧.

٣٤- الوفد: الأحد ٢ أبريل ٢٠٠٦، الطبعة الأولى، السنة ٢٠، العدد ٥٩٥٦.

٣٥- الوفد: الجمعة ٢٩ أغسطس ٢٠٠٨، السنة ٢٢، العدد ٦٧٠٨.

٣٦- الوفد: السبت ٢١ يناير ٢٠٠٦، السنة ١٩، العدد ٥٩٠٧.

37- Angus Craig MC (2016): Party Elites and the search for credibility: Plaid Cymrue and the SNP as new Parties of government, The British Journal of Politics and International Relations, Vol. 18 (3), Sage Pub, UK.

38- Chait Johnathan (2002): Victim Politics, New Republic, United States, Vol. 226, Issue 10.

39- Choi Nankyung (2007): Elections, Parties and Elites In Indonesia's Local Politics, South East Asia Research, Vol. 15.

40- Christen sen Michael (2013): The Social Facts of Democracy: Science Meets Politics with Mosca, Pareto, Michels, And Schumpeter, Journal of Classical Sociology, 13 (4), Sagepub, UK.

41- Dommet L Kathrine (2018): Road blocks to Interactives digital adoption? Elite Perspectives of Party Practices In the united kingdom, Party Politics, Sage Pub, UK.

42- Ekengrem Ann- Marie and Son Henrik Oscars (2011): Party Elites Perceptions of Voting behavior, Party Politics, Vol. 19 Sagepub,UK.

43- Erik Kjeld, Sgard Bod (2018): China Report, 54, 4, Sage Publications, Los Angles/ London.

44- Hunt Lee Everett and Hans Zeh L. (2017): Vilfredo Pareto: The Rise and fall of Elites: Application of Theoretical sociology, Routledge.

45- J lee Daniel and Schutte Rachel (2017): Elite- level issue dynamics- Assessing Perspectives on Party Issue Change, Party Politics, Vol. 23, Issue 3, Sage Journals.

46- Keller Suzanne (1991): Beyond The Ruling Class "Strategic Elites In Modern Society, Transaction Publisher, USA and UK".

47- L. Anderson, Christopher (2013): Which Party Elites Choose to lead the Nomination Process, Political Research Quarterly, Vol. 6, No. 1, Sage Pub,UK.

48- Mills. C. Wright (2002): The Sociological Imagination, Oxford University Press, Fortieth Anniversary Edition, New York.

49- Nielsen Francois (January 2007): Economic Inequality, Pareto, and Sociology, The Route Not Taken, American Behavioral Scientist, Vol 50, No. 5, Sage Publications.

50- Shafer Byrone (1991): Roberto Michels, Vilfredo Pareto, and Henry Jones Ford: Classical Insights and the Structure of Contemporary American Politicis, International Political Science Review, Vol 12, No.3.

51- Sharma Urmial and Sharma SK (2007): Principles and Theory of Political Science, Atlantic, Vol. 2, India.

52- Tjellander Bengt (1985): Elite Circulation and Swedish school reforms, Acta Sociological review Article, Vol. 28, Sage Pub.

53- Vromen Donner Suzanne (1977): Pareto on the Invitability of Revolutions, American Behavioral Scientist, Vol 20, No.4, Sage Publications.

54- Weber Max (1964): The Theory of Social And Economic Organization, Translated by A. M. Henderson and Talcot Parsons, The Free Press of Glencoe, Collier- Macmillan limited, London.